وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة يحيى فارس بالمدية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

مطبوعة محاضرات مقياس

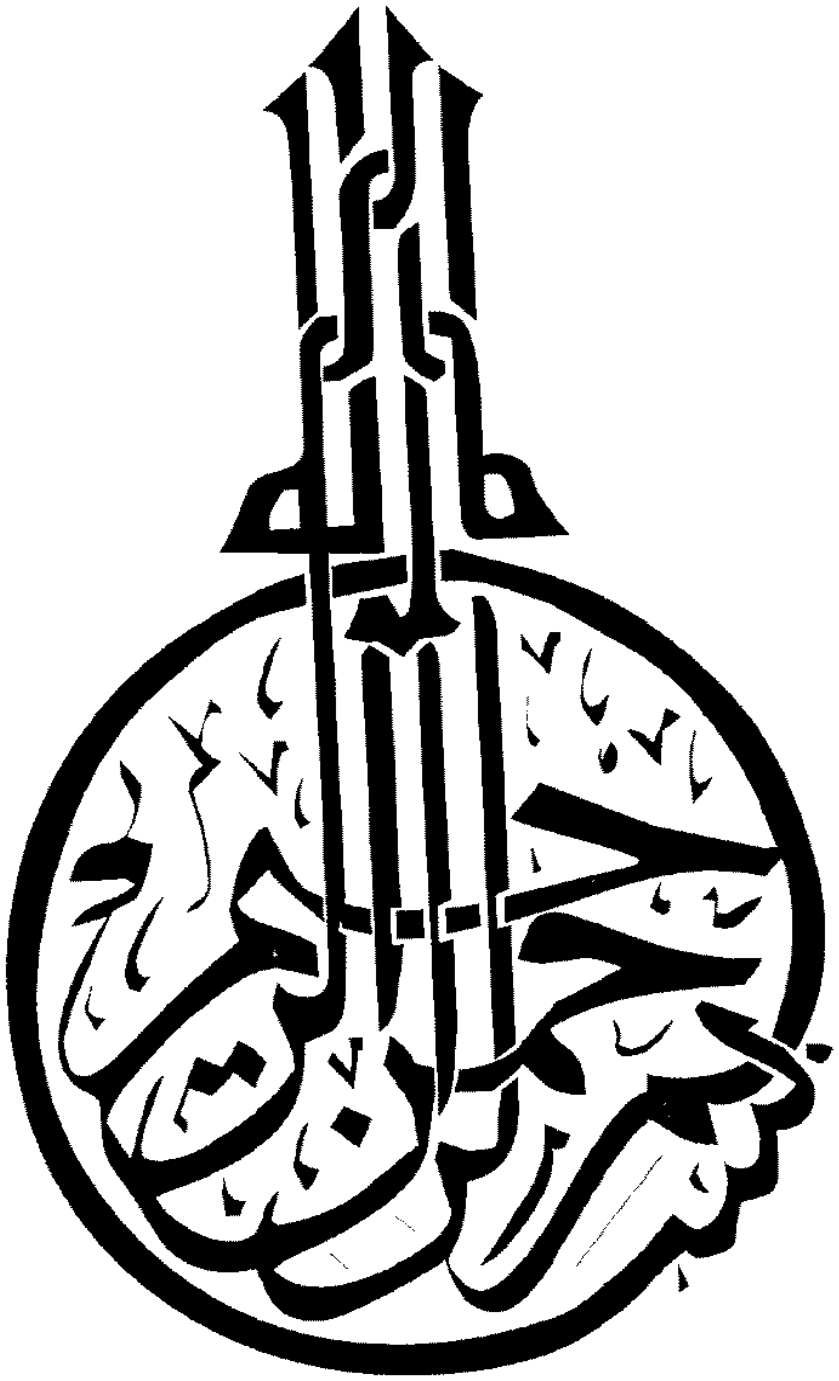
تاريخ الحركات المذهبية في الغرب الإسلامي

للسنة أولى ماستر -تاريخ الغرب الإسلامي-

إعداد الأستاذ:

د.عبد الصمد حمزة

الموسم الجامعي: 1445هـ/2023-2024م



محاور المقياس:

- بعثة الفقهاء العشرة ودورها في انتشار الاسلام بعد الفتوحات.
- انتشار المذهبين الصفري والاباضي ببلاد المغرب (الدعوة، الثورة، الدولة)
- المعتزلة ببلاد المغرب.
- المذهب الإسماعيلي من الدعوة إلى الدولة.
- المذهب المالكي (دخوله وانتشاره ونضاله ضد المذاهب الأخرى)
- المذهب الظاهري ببلاد المغرب.

المصادر:

-ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات محمد عليّ بيضون، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت 1424هـ/2003م.

- ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب

- المالكي، أبو بكر عبد الله (توفي في القرن 5هـ/11م)، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسائهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحققه بشير البكوش، وراجعه محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1403هـ/1983م.

- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة.

- القاضي النعمان، المجالس والمسايرات.

- ابن الصغير المالكي (ق3هـ/ 10م)، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب، بيروت، 1986م.

- ابن فرحون المالكي (ت 799هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العربية، بيروت الطبعة الأولى، 1996.
- البغدادي عبد القاهر (ت 429هـ) الفرق بين الفرق، محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة بيروت، بدون تاريخ.
- البغدادي عبد القاهر، كتاب الملل والنحل، تحقيق ألبير نصري نادر، دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، الطبعة الثانية 1983.
- التنبكتي أحمد بابا (ت 1036هـ)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج – طبع على هامش كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون اليعمري (ت 799هـ) – دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
- الدرجيني (ت 670هـ)، كتاب طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاّي، مطبعة البعث، قسنطينة، بدون تاريخ.
- الشاطبي (ت 790هـ)، الموافقات في أصول الأحكام، (مجلدان – أربعة أجزاء)، تحقيق محمد حسنين مخلوف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، مكان وتاريخ الطبع غير مذكورين.
- الشماخي (ت928هـ/1522م)، السير، تحقيق محمد حسن، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2009م.
- الشهرستاني (ت 548هـ)، الملل والنحل (ثلاثة أجزاء)، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، 1968. [والجزء الأول والثاني ضمن مجلد واحد، تحقيق أبو عبد الله السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، 1994.

- القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ودار مكتبة الفكر، طرابلس (1965م).

- 2-المراجع:

- مصطفى الهروس، المدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية القرن الثالث الهجري نشأة وخصائص، ط(1418هـ/1997م)، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المملكة المغربية.

- ابن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة (د.ت).

- الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف في المائة السابعة ببجاية.

- نجم الدين الهنتاتي، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري- الحادي عشر الميلادي، تبر الزمان، تونس(2004م)

- ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1978.

- بنسالم حميش، التشكلات الأيديولوجية في الإسلام (الاجتهادات والتاريخ)، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1993

- ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1978.

- مجدوب عبد العزيز، الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، دار ابن سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2008م.

- جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د/ط، 1984م.

- روجي إدريس الهادي، الدولة الصنهاجية- تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1999م.

- بوبة مجاني، النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي.

- محمد أحمد عبد المولى : القوى السنية ببلاد المغرب، جزئين ،دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ،1985.

- محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري ،دار الثقافة ،1985.

المحور الأول: البعثة العمرية ودورها في نشر الإسلام بعد الفتح

أولا: تعاريف

المذهب لغة: هو الطريق أو السبيل، وقال ابن منظور هو المعتقد الذي يذهب إليه[1].

وفي الاصطلاح: هو المنهج سواءً كان في العقيدة أو في الفقه أو في أصول الفقه وفي علوم الحديث أو في اللغة العربية أو غيره من العلوم الشرعية.

وفي الاستعمال الفقهي: فهو يشير إلى الأحكام الاجتهادية الظنية التي ذهب إليها إمام من الأئمة، فجُعل بذلك اسماً للمسائل التي يستنبطها المجتهد، أو يستخرجها أتباعه من قواعد نصوص كلامه.

يقول العدوي: المراد بمذهبه: ما قاله هو وأصحابه على طريقته، ونُسب إليه مذهباً؛ لكونه يجري على قواعده، وأصله الذي بنى عليه مذهبه.

ثانيا:بدء الحركة الفكرية في بلاد المغرب الإسلامي

1-مع الفاتحين:

استغرق فتح المغرب مدة طويلة (21-91هـ) وقد تعاقب على هذه العملية قادة عظام بدءا بعمرو بن العاص وعبد الله بن سعد بن أبي السرح، ومعاوية بن حديج مرورا بعقبة بن نافع وأبي المهاجر دينار وزهير بن قيس البلوي وصولا إلى حسان بن النعمان وموسى بن نصير، ثم تلاهم الولاة الأمويون فالعباسيون إلى غاية قيام الدول المستقلة وآخرها الدولة الأغلبية سنة 184هـ.

[1] ابن منظور، لسان العرب، تح عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة،م3،ج17، ص 1522.

ولقد كان لهؤلاء القادة دور كبير في نشر الإسلام وتبيت مبادئه في المغرب عموما، وإن كان هناك تفاوت في المجهود المبذول لكل واحد منهم، وفي طليعة من قدم جهودا عظيمة في هذا الجانب نذكر عقبة بن نافع الذي كانت له قدم السبق في بناء أول قاعدة عسكرية في بلاد المغرب التي أضحت منذ اللحظة الأولى لبنائها المركز الحضاري الأول والأبرز في البلاد كلها وانتقل إشعاعها إلى المناطق المجاورة وصقلية والأندلس بعد ذلك، وأصبحت مركزا للدراسات الإسلامية والعربية، ثم يأتي أبو المهاجر دينار الذي استمال البربر بسياسته الحكيمة ورغبهم في اعتناق الإسلام والنهل من معين علومه، وتنطلق حملة حسان بن النعمان التي خلفت أثرا كبيرا في دخول البربر إلى الإسلام والتطلع إلى ثقافته وتراثه فقد عرب حسان الدواوين وجعل اللغة العربية هي اللغة الرسمية للبلاد وأنشأ جامع الزيتونة ومدينة تونس. ثم يأتي دور موسى بن نصير الذي قرب أهل البلاد وجعلهم على المناصب ونقل الإسلام إلى ما وراء العدوة المغربية.

وسار ولاة الأمويين –إلا قليل منهم– على نفس السياسة وساهموا في إثراء المسيرة الفكرية في بلاد المغرب فقد أسس عبيد الله بن الحبحاب –أو أكمل بناء–جامع الزيتونة الذي أضحى ولا يزال منارة العلم والثقافة.

وقد أدى بعض الولاة العباسيين دورا مهما في دفع عجلة العلم في البلاد فقد استقدم يزيد بن حاتم المهلبي –الذي ولاه أبو جعفر المنصور سنة 154هـ– [1] أدباء وشعراء مرموقين من المشرق أثْروا وأثّروا في الحياة الثقافية المغربية.

وكان لحضور بعض التابعين إلى بلاد المغرب الأثر البالغ في ازدهار وانتشار المد الثقافي الإسلامي ويأتي على رأس هؤلاء عكرمة بن عبد الله مولى عبد الله بن عباس

[1] ابن عذارى، ص 48، الرقيق القيرواني، ص 146.

البربري الأصل الذي تتلمذ على يد مولاه وأذن له بالفتيا فعلا شأنه خاصة بعد وفاة بن عباس حتى كان بعض كبار التابعين يمسك عن الفتيا إذا ما كان عكرمة بينهم، وقدم عكرمة إلى القيروان وجعل مجلسه في جامع عقبة بن نافع، ويذكر له الشأن الكبير في تعليم الناس وتفقيههم، إلى جانب سلمة بن سعيد الذي لم تصلنا معلومات وافية عنه ما عدا أنه كان نشيطا في نشر مذهبه بين قبائل البربر[1] . وخالد بن عمران التجيبي (ت124هـ)[2] والذي ولد بالمغرب وترك علما غزيرا فيه. إلى جانب عدد من التابعين ساهموا بقسط وافر في تعليم الناس ونشر مبادئ الإسلام وازدهار الحياة الفكرية في بلاد المغرب.

2-البعثة العمرية:

كانت خلافة عمر بن عبد العزيز فاتحة خير لكل البلاد الإسلامية ووجه عناية خاصة لبلاد المغرب فاختار لمهمة تعليم أهلها وتثقيفهم عشرة من خيار التابعين وأفقههم وبعثهم إلى القيروان وتنقلوا في المناطق، فكان لهم بالغ التأثير في ازدهار الحركة الفكرية.

وعلى رأس هؤلاء يأتي **إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر دينار** الذي بعث واليا ومعلما فكان يدرس الناس ويفقههم ويحكم بينهم بسنة الله ورسوله، و**إسماعيل بن عبيد الأنصاري** المعروف بتاجر الله إذ جعل ثلث كسبه في سبيل الله وهو الذي بنى

[1] الدرجيني ، طبقات المشائخ بالمغرب ، تحقيق ابراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، ج1، ص11.

[2] حسن حسني عبد الوهاب، الإمام المازري، سلسلة نوابغ المغرب، رقم 1، ص 16-17.

المسجد الكبير بالقيروان وهو ثاني مسجد بعد مسجد عقبة وكان مثالا للزهد والورع والتقوى وتوفي(107هـ)[1] غريقا في البحر إثر غزوة غزاها مجاهدا في سبيل الله.

و**عبد الله بن يزيد المعافري المعروف بالحُبُلي** الذي روى عن جماعة من الصحابة وكان لجهوده العلمية أثر كبير في نشر الدعوة الإسلامية وانتفع به كثير من أهل القيروان في التفقه في الدين وكان له طريقة خاصة في الوعظ وذلك بضرب الأمثال التي تقرب المعنى وكان له طريقة خاصة في الوعظ وذلك بضرب الأمثال التي تقرب المعنى إلى الأذهان وتضفي صورة مجسمة محسوسة لها أثرها القوي في التأثير مما يؤدي إلى تحقيق الهدف المرجو منها. كما اشترك في الحملات العسكرية لفتح البلاد وشهد فتح الأندلس.[2]

و**أبو مسعود التجيبي** الذي صحب جماعة من الصحابة وتفقه على أيديهم وكان صادعا بالحق لا يخشى واليا ولا أميرا، وقد شارك مع حنظلة بن صفوان في مواجهة الخوارج. وكذا **عبد الرحمن بن رافع التنوخي** وقد تولى القضاء لموسى بن نصير فكان عادلا في أحكامه[3]، وكان معلما للناس أمور دينهم. و**موهب بن حي المعافري** وقد اشترك في فتح المغرب ثم سكن القيروان لنشر العلم والتعليم.

---

[1] أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء إفريقية، تح بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، 1403 هـ، 1983م ج1، ص 108.

[2] محمد بن أحمد بن تميم أبو العرب، طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص 21.

[3] عبد الرحمن بن محمد الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، مكتبة الخانجي، مصر، 1968م، ج1، ص 184.

و**حيان بن أبي جبلة القرشي**: وهو من أهل الفقه والدين وقد سكن القيروان وقام بواجبه في نشر العلم والمعرفة فانتفع به أهل البلاد، و**طلق بن جابان الفارسي**: وكان يفقه المصريين ثم وجهه عمر بن عبد العزيز في هذه البعثة، و**بكر بن سوادة الجذامي** وهو من فقهاء التابعين روى عن جملة من الصحابة والتابعين وسكن القيروان ونشر بها علما جما وقيل أنه غرق عند جوازه للأندلس[1]. و**جعثل بن هامان بن عمير الرعيني** وهو أحد القراء الذين يعلمون أهل القيروان، وتولى القضاء بين الجند.

[1] المالكي، رياض النفوس، ص 74.

ثالثا:آثار البعثة العمرية على بلاد المغرب الإسلامي

1–إعداد جيل جديد من المغاربة لا يعرف إلا القرآن الكريم و السنة النبوية **–2** تكوين الطبقة الأولى من علماء المغرب (البهلول بن راشد/ علي بن زياد التونسي/عبد الله بن بعمر بن غانم **–3** (...أنهم وضعوا الأسس الأولى للحركة العلمية للمغاربة التي بنيت علها الحياة الثقافية للبلاد **–4**.أنهم علموا المغاربة الإسلام كما أنزل بعيدا عن الفرق الكلامية و المذاهب العقدية و التيارات السياسية المتحزبة**–5** نشروا اللغة العربية و بينوا قواعدها للصغار و الكبار فكانت هذه العملية قاعدة للتعريب التي نشرها المغاربة فيما بعد **–6** أنهم رسخوا في المغرب مبدأ احترام و طاعة ولاة الأمور وفق الضوابط الشرعية **–7** .أشاعوا الرشد و بثوا العلم و علموا الحرام و الحلال و حرصوا على نشر الأمن و التآخي و المساواة بين البربر و العرب **–8**.كان إسلام البربر نهائيا من أعظم نتائج و آثار هذه البعثة العربية الطيبة.

وخلاصة القول أن البعثة العلمية التي أرسلت إلى القيروان لنشر العلم والمعرفة قد تألفت من أبناء المهاجرين والأنصار ومن العرب والعجم، فقد جمع بينهم صفة الفقه في الدين والتمسك بتعاليم الإسلام والسهر على نشرها وتعليمها فكانوا الآباء الروحانيين وأول غارسي أصول الحركة الفكرية في القيروان، كما نلاحظ أنهم أرسلوا إلى القيروان واستوطنوها وأقاموا بها ولم يعودوا إلى بلاده وفي هذا دليل على صدق نواياهم وإخلاصهم وحرصهم على تأدية مهمتهم إلى آخر أيامهم، وقد بنوا المساجد والكتاتيب لتعليم أبناء المسلمين، فشاع في عهدهم تعلم القرآن والحديث والفقه والتفسير واتبع الناس بفضلهم

التعاليم والآداب الشرعية وصار الوافدون إلى القيروان ينهلون من علم هؤلاء ثم يعودون إلى مناطقهم لنقل ما تعلموا إلى أهاليهم وقبائلهم، وربما قاموا فيما بعد بمهام التعليم والقضاء والفتيا.

المحور الثاني:انتشار المذهبين الصفري والاباضي ببلاد المغرب (الدعوة، الثورة، الدولة)

بعد هذه الإطلالة على تأسيس الحركة الفكرية في بلاد المغرب ننتقل إلى تبيان أهم الحركات المذهبية التي عرفت في هذه البلاد ومدى تأثيرها، وأولى هذه الحركات هي حركة الخوارج.

1-الخوارج نشأتهم وأصول حركتهم:

هذه التسمية لم يطلقها أصحابها على أنفسهم بل سماهم بها خصومهم، لذلك نجد الإباضيين في بلاد المغرب يستنكرون إطلاق هذه التسمية عليهم، وتعود بداية ظهور المذهب الخارجي إلى عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبالتحديد أثناء وقعة صفين، حين رفضت فئة من المتقاتلين نتيجة التحكيم، فخرجوا عن صف علي، وفارقوا صفوف أنصاره، معلنين العصيان، ثم دعوا الناس إلى خلعه هو ومعاوية معا، فاعتبرهم أهل السنة خارجين عن الصف وأسموهم الخوارج.

وقد افترقت الخوارج على أكثر من عشرين فرقة أبرزها: الأزارقة والنجدات والصفرية والعجاردة والإباضية والصفرية. ومن أبرز أصول هذه الحركة أن الإمامة ليست حكرا على قريش، وإنما اشترطوا فيها الإسلام والعدل فقط، وأن اختيار الإمام يكون بانتخاب حر

صريح، وأنه يبقى في منصبه مادام يطبق شرع الله، فإن انحرف أو أخطا وجب عزله وقتله[1].

وحينما ظهرت فرق الخوارج بالمشرق لاحقها الخلفاء ابتداء من رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب الذي التقى بهم في معركتي النهروان والنخيلة ورد الكثير منهم إلى جادة الصواب بالإقناع والحجة، قبل أن يقتل الآلاف منهم[2]، ثم بدأ الخلفاء الأمويون بملاحقتهم وإرسال أبرز القادة العسكريين لمحاربتهم، وكان أشدهم عليهم المهلب بن أبي صفرة الذي استطاع الإيقاع بالكثير منهم زيادة على أنه شتت شملهم وفرقهم طوائف وجماعات وذلك بإثارة الخلافات العقدية بينهم[3]، ولماّ لم يستطع الخوارج نشر مذهبهم وتحقيق أهدافهم في بلاد المشرق، بحثوا عن متنفس لهم، فوجدوا في بلاد المغرب الأرض الخصبة لنشر عقائدهم وخاصة أن أهل المغرب حديثو عهد بإسلام ونظرا لتسلط ولاة الأمويين عليهم. ولذلك خفف الخوارج من تشددهم وامتحاناتهم لمعتنقي مذهبهم وبدأوا بإرسال دعاتهم إلى بلاد المغرب، ونجحوا فيها فيما لم ينجحوا في غيرها.

أسباب فشل دعوة الخوارج في بلاد المشرق:

[1] محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 61.

[2] محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، 1971م، ج5، ص 72 وما بعدها.

[3] عن أمثلة من هذه الخلافات انظر، أبو زهرة، المرجع السابق، ص 63، 64.

-تطرف عقائدهم: ذلك أنهم اتبعوا أسلوب التكفير لكل من خالفهم واستحلال أموالهم ونسائهم وأولادهم، ورمي كبار الصحابة بالكفر وعلى رأسهم عثمان وعلي، كما أنهم كانوا يقولون بتكفير مرتكب الكبيرة، وجواز الإمامة لكل مسلم عالم بالكتاب والسنة[1].

-قصور فكرهم السياسي: حيث أن أنهم أغفلوا التنظيم والدعوة في تسيير أمر حركتهم فغابت لذلك عن قيادتهم أي زعامة معروفة أو مشهود لها بين الناس، فكانوا يختارون من بينهم أي واحد لتسلم زمام قيادتهم، واتبعوا أساليب قاسية وامتحانات عسيرة لأتباعهم الجدد، كما أنه كانت تظهر في كل مرة بينهم خلافات متكررة تؤدي إلى انشقاقات وعصيان، خاصة عند لقاء مخالفيهم.

-مواجهة السلطة لهم بالحزم واليقظة: حيث تصدى لهم علي بن أبي طالب وكثير من الخلفاء الأمويين والعباسيين وأبادوا أكثر طوائفهم.

2-ظهور الصفرية والإباضية في بلاد المغرب:

2-1-الإباضية:

الإباضية هي إحدى فرق الخوارج، وتنسب إلى مؤسسها عبد الله بن إباض التميمي، ويدعي أصحابها أنهم ليسوا خوارج وينفون عن أنفسهم هذه النسبة، والحقيقة أنهم ليسوا من غلاة الخوارج كالأزارقة مثلاً، لكنهم يتفقون مع الخوارج في مسائل عديدة

[1] الحسن بن موسى النوبختي وسعد بن عبد الله القمي، فرق الشيعة، تح عبد المنعم حنفي، دار الرشد للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، 1412هـ/1992م، ص 23.

منها: أن عبد الله بن إباض يعتبر نفسه امتداداً للمحكمة الأولى من الخوارج، كما يتفقون مع الخوارج في تعطيل الصفات والقول بخلق القرآن وتجويز الخروج على أئمة الجور.

ومن أبرز شخصيات المذهب الإباضي:

· مؤسسها الأول عبد الله بن إباض من بني مرة بن عبيد بن تميم، ويرجع نسبه إلى إباض وهي قرية العارض باليمامة، وعبد الله عاصر معاوية وتوفي في أواخر أيام عبد الملك بن مروان.

·كما يذكر الإباضية أن أبرز شخصياتهم جابر بن زيد (93.22هـ) الذي يعد من أوائل المشتغلين بتدوين الحديث آخذاً العلم عن عبد الله بن عباس وعائشة و أنس بن مالك وعبد الله بن عمر وغيرهم من كبار الصحابة. مع أن جابراً قد تبرأ منهم[1].

· أبو عبيدة مسلمة بن أبي كريمة: من أشهر تلاميذ جابر بن زيد، وقد أصبح مرجع الإباضية بعده مشتهراً بلقب القفاف توفي في ولاية أبي جعفر المنصور 158هـ.

· الربيع بن حبيب الفراهيدي الذي عاش في منتصف القرن الثاني للهجرة وينسبون له مسنداً خاصاً به مسند الربيع بن حبيب وهو مطبوع ومتداول.

· ومن أئمتهم في المغرب الإسلامي: الإمام الحارث بن تليد، ثم أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، ثم أبو حاتم يعقوب بن حبيب ثم حاتم الملزوزي.

[1] أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج1، تح: إبراهيم الزيبق، عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1416هـ/1996م، ص 279.

· ومنهم الأئمة الذين تعاقبوا على الدولة الرستمية في تاهرت: عبد الرحمن، عبد الوهاب، أفلح، أبو بكر، أبو اليقظان، أبو حاتم.

· من علمائهم:

سلمة بن سعيد: قام بنشر مذهبهم في أفريقيا في أوائل القرن الثاني.

ـ ابن مقطير الجناوني: تلقى علومه في البصرة وعاد إلى موطنه في جبل نفوسه بليبيا ليُسهم في نشر المذهب الإباضي.

ـ عبد الجبار بن قيس المرادي: كان قاضياً أيام إمامهم الحارث بن تليد.

ـ السمح أبو طالب: من علمائهم في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة، كان وزيراً للإمام عبد الوهاب بن رستم ثم عاملاً له على جبل نفوسه ونواحيه بليبيا.

ـ أبو ذر أبان بن وسيم: من علمائهم في النصف الأول من القرن الثالث للهجرة، وكان عاملاً للإمام أفلح بن عبد الوهاب على حيز طرابلس.

–وصول المذهب الإباضي إلى بلاد المغرب:

بعد أن تأكد لأبي عبيدة أن قيام الدولة العادلة أمر صعب تحت رقابة الأمويين الصارمة بدأ في إرسال دعاته إلى المناطق النائية ووقع اختيار أبي عبيدة على سلمة بن سعيد للتوجه إلى المغرب في أول القرن الثاني للهجرة[1]، وكانت المغرب أرضاً صالحة للدعوة ضد الأمويين فوجد سلمة تشجيعاً لم يتوقعه خاصة وأن البربر وجدوا في دعوة

[1] الدرجيني ، طبقات المشائخ بالمغرب ، تحقيق ابراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، ج1، ص11.

الإباضية المساواة التي حرمهم منها الأمويون فقام سلمة بنشاط كبير بين قبيلتي هوارة ونفوسة وتأكد بأن ما يحلم به شيخه يمكن تحقيقه في المغرب فكان يقول " وددت لو يظهر هذا الأمر يوما واحدا من أول النهار إلى آخره فما أبالي أن تضرب عنقي "[1].

بدأت تحركات الاباضية منذ عام 127هـ (744م)، في جبل نفوسة ومدينة طرابلس، واستطاعوا السيطرة على المدينة سنة 131هـ، لكن الوالي الأموي عبد الرحمن بن حبيب استطاع أن يشتت جمعهم بإدخال الفتنة بينهم وقتل قادتهم، بعد أن هزموه ثلاث مرات متوالية[2].

بعد هذا رأى سلمة بن سعيد أنه يجب التركيز أكثر على الجانب الدعوي وتوسيع قاعدة الدعوة، وذلك باختيار من يتوسم فيهم النجابة وملامح القيادة وإرسالهم للتزود بالعلم في بلاد المشرق فأرسل عبد الرحمن بن رستم، وعاصم السدراتي، وأبو داود القبلي النفزاوي وإسماعيل بن ضرار الغدامسي، وانضم إليهم بعد ذلك أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني، وتوجهوا إلى البصرة عند زعيم الإباضية آنذاك أبو عبيدة مسلمة بن أبي كريمة وسموا فيما بعد "حملة العلم"[3])، وتلقوا في البصرة مبادئ المذهب على يد إمامهم مدة تقرب من خمس سنوات، إلى أن أحسوا بالقدرة على تبليغ دعوتهم، سرحهم الإمام فوصلوا إلى طرابلس سنة 140هـ، وجعلوها نقطة انطلاق لنشر مذهبهم،

---

[1] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 11 .

[2] سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، دار المعارف، القاهرة، ص 90.

[3] دبوز، المرجع السابق، ص 189-195.

واجتمع إليهم أنصارهم وبايعوا أبا الخطاب بالإمامة، واستطاع بعد ذلك أن يسيطر على طرابلس وأنحاء من جبل نفوسة[1].

بعد ذلك استطاع أبو الخطاب قيادة جيشه إلى إفريقية ودخول قابس ثم القيروان التي كان الصفرية قد سيطروا عليها منذ وقت قريب واستحلوا فيها المحارم وقتّلوا وربطوا دوابهم بالمسجد الجامع[2]، لكن ابن الخطاب أمّن الناس والتزم بحدود الشرع في معاملة أهل المدينة، ومن هنا بدأت توسعات الإباضيين نحو الغرب والجنوب، لكن الخلافة العباسية أحست بالخطر الذي يتهدد سلطتها فسارع واليها على مصر محمد ابن الأشعث إلى إرسال جيشين لقتال الإباضية، إلا أن الهزيمة كانت من نصيب جيش ابن الأشعث في كلتا المرتين، وهنا عزم ابن الأشعث على السير بنفسه وعبأ جيشا بلغ تعداده خمسين ألفا مواجها لجيش يبلغ مائتي ألف مقاتل من الإباضيين، وهنا بدأت الحيلة تعمل فقد تظاهر ابن الأشعث بالرجوع إلى مصر لإعداد جيشه لهذه المواجهة، بالإضافة إلى تنازع قبيلتي هوارة وزناتة من جانب جيش ابن الخطاب، فاستغل ابن الأشعث هذا الموقف وانقض على خصمه وأوقع به هزيمة عظيمة قتل على إثرها أكثر جيشه وأبرز قادته وفيهم ابن الخطاب الذي أرسل رأسه إلى بغداد، ثم هزم ابن الأشعث تجمعا آخر للإباضيين بقيادة أبي هريرة الزناتي[3]. وانسحبت جموع الإباضيين إلى زويلة وفزان

[1] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 23.

[2] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 81.

[3] ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص 504.

وتأسست هنالك إمارة مستقلة تزعمتها أسرة بني الخطاب ولم تستطع الخلافة العباسية القضاء عليها نهائيا حتى جاء عصر المماليك وانتهى ذكر هذه الإمارة[1].

أما في إفريقية فإن القائد الجديد للإباضيين عبد الرحمن بن رستم الذي كان بالقيروان اضطر للنزوح إلى المغرب الأوسط واجتمعت إليه قبائل لماية ولواتة ورجالة ونفزاوة فنزل بها، وشرع في بناء مدينة تاهرت عند وادي مينة وعلى سفح جبل جزول بعد مبايعة البربر له بالإمامة.[2]

وبعد معارك بين الإباضيين وحلفائهم الصفريين من جهة وولاة الخلافة العباسية من جهة ثانية لم يستطع الإباضيون السيطرة على مركز إفريقية مدينة القيروان ولا طرابلس فقنعوا بما حققوه من مكاسب في جبل نفوسة وجزء من المغرب الأوسط فأعلنوا قيام دولتهم سنة 160هـ، إذ لم تجاوز حدودها الغربية واد شلف وسيطرت على مناطق واسعة من المغرب الأوسط وجنوبا حتى منطقة فزان، وتحسنت العلاقات بينها وبين الصفريين الذين أسسوا دولتهم بسجلماسة. واستمرت دولة الرستميين تحكم هذه المناطق وتدافع عنها حتى قضى عليها الفاطميون سنة (296هـ/908م)[3].

---

[1] ابن خلدون، كتاب العبر، ج5، ص 335.

[2] المصدر نفسه، ج6، ص 146.

[3] ابن عذارى، البيان، ج1، ص 153

2-2-الصفرية:

إلى جانب المذهب الإباضي كان المذهب الصفري قد انتشر في داخل المغرب وسرعان ما أصبح أتباع الفريقين من القوى المعارضة الواضحة الهامة في المغرب منذ العقد الثاني من القرن الثاني الهجري، وقادت فرقة الصفرية الثورة الكبرى التي انطلقت من طنجة عام122هـ (739م)[1].

والصفرية هي من فرق الخوارج المتطرفة إلا أنها أقل تطرفا من الأزارقة، وأشد من غيرهم خاصة الإباضية، والقول الراجح في تسميتهم أنهم أتباع زياد بن الأصفر[2]، وقد نشأت هذه الفرقة في بلاد المشرق على عهد يزيد بن معاوية، وكان زعيمها هو أبو بلال مرداس الذي خرج على الخليفة يزيد بالبصرة لكنه لم يقاتل أو يدعُ إلى حرب، فأرسل إليه عبيد الله بن زياد والي العراق من قتله[3]. أما في بلاد المغرب فإن أول من أدخل هذا المذهب هو عكرمة مولى عبد الله بن عباس والذي أخذ عنه علما جليلا وقد جاء هو وسلمة بن سعيد الذي ذكرناه في الدعوة الإباضية على رحلة واحدة ودخلا مع بعض إلى القيروان وكل منهما يدعو إلى مذهبه، وبدأ عكرمة جهوده في تبليغ مبادئ المذهب الصفري، ومن بين من تلقى على يديه العلم وأصول المذهب "سمغون (سمكو) بن

---

[1] ابن خلدون ، العبر، ج6، ص 171.

[2] محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق: أمير علي مهنا، علي حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ/1993م، ج1، ص 159.

[3] أبو زهرة، المرجع السابق، ص 72.

واسول المكناسي" زعيم قبيلة مكناسة[1]، وإن كانت بعض الروايات تقول أنه قد التقى به في المدينة[2]، فتعلم منه ونقل علمه إلى قبيلته، وثانيهما هو "ميسرة المطغري" الذي يكنى بالحقير أو الفقير ويلقب بالسقاء لأنه كان يعمل في سقاية الماء بالقيروان، إلى جانب اتصاله بعكرمة وتعلمه منه، وقد تصدى ميسرة لنشر المذهب الصفري في أنحاء المغرب بعد موت عكرمة فقابل رؤساء القبائل ورغبهم في الدخول في أمره، فاجتمعوا إليه، ونظرا لأن ولاة الأمويين قد جاروا على رعيتهم وحملوهم أكثر من طاقتهم فإن هؤلاء اجتمعوا وأوفدوا جماعة منهم يرأسهم "ميسرة" إلى عاصمة الخلافة في دمشق ليبثوا شكواهم إلى الخليفة، ويستطلعوا بينة الأمر، هل ما يقوم به الولاة من عسف وجور هو من أمر الخلفاء أم لا، فلما حيل بينهم وبين الاتصال بالخليفة هشام[3]، رجعوا إلى بلادهم وقد عقدوا العزم على تغيير هذا الواقع، فولّوا على أمرهم "ميسرة" وبايعوه بالإمامة[4]، وبدأت حركتهم الثورية سنة 122هـ، إذ زحفوا في جموع كثيرة إلى طنجة وأوقعوا بواليها عمرو بن عبيد الله المرادي، ثم انتقلوا إلى السوس وقتلوا إسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب، ودان المغرب الأقصى للصفريين، واتبع كثير من البربر هذا المذهب[5]، وبدأت المواجهة العسكرية بين الصفريين وجنود الخلافة الأموية، وجرت بينهما معارك من أبرزها موقعة الأشراف التي قتل

---

[1] البكري، المغرب ، ص 149.

[2] ابن خلدون، العبر، ج6، ص 172.

[3] الطبري، المصدر السابق، ج4، ص 224.

[4] ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ج1، ص 293.

[5] ابن عذارى، البيان، ج1، ص 52.

فيها كثير من أشراف العرب وكانت بنواحي طنجة سنة 123هـ، وفيها عزل البربر ميسرة وقتلوه لأمور نقموها عليه، وولوا مكانه خالد بن حميد الزناتي، ثم بعث إليهم هشام بن عبد الملك جيشا كبيرا بلغ تعداده ثلاثين ألفا وولى عليه وعلى أمر إفريقية كلثوم بن عياض القشيري، والتقى الفريقان عند نهر سبو في مكان يقال له بقدورة واستبسل البربر في القتال، مقابل تنازع العرب بينهم، وأسفرت المعركة عن هزيمة جيش الخلافة هزيمة منكرة، ورجوعه في ثلث مقتول وثلث مأسور، وثلث مهزوم[1]، واستمر تقدم الصفرية إلى المغرب الأوسط وكان هدفهم الوصول إلى عاصمة إفريقية مدينة القيروان فأخذوا نواحيها ودانت لهم وشددوا الحصار عليها وجمعوا ما يفوق ثلاثمائة ألف مقاتل، لكن فلولهم منيت بالهزيمة سنة 125هـ على يد عامل إفريقية حنظلة بن صفوان في معركتي القرن والأصنام[2]، وتراجعوا عن البلاد إلى حين، ثم عاودوا الكرة بقيادة عاصم بن جميل زعيم قبيلة ورفجومة يؤيده من البربر عبد الملك بن أبي الجعد ويزيد بن سكوم فدخلوا القيروان سنة 139هـ/756م، واستباحو فيها الحرمات وقتلوا خلقا كثيرا وربطوا دوابهم بالمسجد الجامع، واستغاث الناس بأبي الخطاب الإباضي فخلصهم منهم على ما ذكرناه سابقا في موضوع الإباضية، وبعد هذا انسحب الصفريون إلى جوانب بلاد المغرب وظلوا يغيرون ويشاركون الإباضية في حرب ولاة المغرب حتى قضى عليهم الوالي العباسي يزيد بن حاتم وابنه سنة 157هـ.

[1] مجهول، أخبار مجموعة، ص 40.

[2] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 69-70.

كما تمكن "أبو قرة" اليفرني من تأسيس إمارة مستقلة في تلمسان تدين بالمذهب الصفري جمعت إليها البربر وأصبحت قوة معدودة شاركت في الحروب التي خاضها الصفريون ضد ولاة الخلافة الأموية، لكنها لم تعمر طويلا.

وأبرز ما استطاعت الصفرية تحقيقه في بلاد المغرب هو تأسيس دولة بني مدرار بسجلماسة سنة 140هـ، تزعم بدايتها سمكو بن واسول رئيس مكناسة المذكور سابقا والذي حمل الناس بعد بناء مدينة سجلماسة على تقديم عيسى بن يزيد الأسود ومبايعته، ولما رأوا منه استبداد بالأمر عزلوه وعذبوه، ووضعوا مكانه سمكو بن واسول فلم يزل الأمر في ذريته إلى أن سقطت الدولة المدرارية على يد الفاطميين الشيعة سنة 296هـ[1].

كما اعتنقت قبيلة برغواطة المذهب الخارجي على يد زعيمهم طريف ابن شمعون الذي أخذ المذهب عن عكرمة في القيروان، وكان من قواد ميسرة المطغري، فلما عزل ميسرة ظل طريف على مذهبه بتامسنا، ويقال أنه تنبأ وشرع لقومه شرائع جديدة ثم خلفه ابنه صالح الذي كان خارجا عن الدين بالكلية فقد ادعى النبوة وأنه صالح المؤمنين المذكور في القرآن، وشرع لهم الديانات وادعى أن الوحي ينزل عليه بسور تماثل سور القرآن الكريم، وبقي مذهبهم إلى غاية وصول المرابطين في القرن الخامس هجري والقضاء عليهم وعلى ديانتهم الخسيسة نهائيا.[2]

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص79.

[2] ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص 130.

2-3-أسباب نجاح الخوارج في بلاد المغرب:

-اعتماد ولاة المغرب على العصبية، وجور بعضهم في تعاملهم مع البربر.

-تذمر البربر من سياسة الولاة الجائرة، وتطلعهم إلى الاستقلال والتحرر من التبعية.

-اعتماد الخوارج على عصبية تؤازرها، فالإباضية اعتمدت على لواتة ونفزاوة ونفوسة والصفرية اعتمدت في بادئ الأمر على مطغرة وزناتة، ثم على مكناسة.

-تنظيم الخوارج لصفوفهم، واتباعهم لمبدأ السرية، وتسخيرهم للعلم والدعوة، والتقليل من تشددهم.

-بعد المغرب عن يد الخلفاء في المشرق.

-دخول الدولة الأموية في مرحلة الضعف ثم الانهيار، ثم مرحلة التأسيس للعباسيين.

2-4-نتائج حركة الخوارج في بلاد المغرب:

-تقسيم المغرب الإسلامي إلى دويلات مستقلة[1]، كل لها مذهبها الخاص.

-انتشار مذاهب الخوارج وإقامة دولتين تدينان بالمذهب الخارجي.

-الاستقرار النسبي بعد فتنة وحروب دامت قرابة نصف قرن.

-تعبير البربر عن روح القومية والاستقلال التي لم ينعموا بها منذ عهود طويلة.

المحور الثالث:المعتزلة ببلاد الغرب الإسلامي

1-المعتزلة نشأتهم وأصول مذهبهم:

المعتزلة هو اسم يطلق على تلك الفرقة التي ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني على يد واصل بن عطاء، وسلكت منهجا عقليا صرفا في بحث العقائد، وقررت أن المعارف كلها عقلية حصولا ووجوبا قبل الشرع وبعده، وهم أرباب الكلام وأصحاب الجدل والتمييز والاستنباط على من خالفهم[2]. وكانوا من أوائل الذين وسعوا دائرة المعرفة

[1] عن تقسيم هذه الدول وحدودها، انظر الملحق رقم 05.

[2]عبد اللطيف بن عبد القادر الحفظي، تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة، أسبابه ومظاهره، دار الأندلس الخضراء، جدة، السعودية، ط1، 1421هـ/2000م، ص13.

الدينية بحيث تشمل العقل، ولم يكتف المعتزلة بإدخال عنصر العقل في المعرفة الدينية بل قدموه على النص، وقالوا بالفكر قبل السمع، فأولوا المتشابه من الآيات القرآنية، ورفضوا الأحاديث التي لا يقرها العقل وتحرزوا في خبر الآحاد، وقالوا بوجوب معرفة الله بالعقل ولو لم يرد الشرع بذلك، وإذا تعارض النص مع العقل قدموا العقل لأنه أصل النص، ولا يتقدم الفرع على الأصل، والحسن والقبح يجب معرفتهما بالعقل، فالعقل بذلك موجب وآمر وناه. وإليهم يرجع الفضل في انتعاش الحركة العقلية في الإسلام، فيسميهم الماتريدي بأنهم فرسان الكلام[1].

وينسبون إلى واصل بن عطاء بن الغزال (ت131هـ) الذي اعتزل مجلس الحسن البصري بعد خلافه له في مسألة مرتكب الكبيرة، وافترقت المعتزلة إلى 22 فرقة اثنتان منهما من الغلاة، وعشرون من القدرية المحضة، ولهم كلام في صفات الله عزوجل وإبطال عدد منها، ونفيهم لرؤية الله عزوجل، وفي أن كلام الله مخلوق[2]...

وقد وضع المعتزلة لأنفسهم خمسة أصول تدور حولها عقائدهم، وهم يتوالون عليها، ويعادون عليها ويردون الفرع الذي يختلفون فيه بها، ولا يكون الشخص معتزليا حتى يؤمن بهذه الأصول كلها مجتمعة، وهي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

[1] علي عبد الفتاح المغربي، الفرق الكلامية الإسلامية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1415هـ/1995م، ص190

[2] عبد القاهر بن طاهر البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، تح: محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 1409هـ/ 1988م، ص104.

يقول الخياط المعتزلي: "وليس يستحق اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا كملت في الإنسان هذه الخصال الخمس فهو معتزلي"[1]. وقد كانت هذه الأصول وليدة للمناقشات التي تقوم بينهم وبين مخالفيهم.

وقد ظلت البصرة مركزا لحركة الاعتزال حتى قامت العاصمة بغداد، واستقر بعض رجال الحركة فيها، وقد أخذ معتزلة بغداد المذهب عن معتزلة البصرة، والتف رجال الاعتزال حول الخليفة المأمون، الذي كان يرى بقولهم في أن القرآن مخلوق ومن ثم عمل على تسخير قوة الدولة لحمل الناس وإجبارهم على اتباع هذا المذهب والقول بخلق القرآن وهذا في الفترة الأخيرة من حكمه(211-218هـ)، وفي هاته الفترة بدأ امتحان العلماء على القول بهذا الرأي فأجاب خلق كثير منهم خوفا من بطش المأمون، ولم يصمد إلا القليل منهم وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل، وجاء عهد المعتصم الذي تشدد أكثر في الأمر وأرغم الناس على القول بخلق القرآن وأمر المعلمين أن يعلموا الصبيان ذلك. وزاد التعصب لهذا الرأي مع تولي الواثق سنة 227هـ، إلى أن تولى المتوكل الذي كان مخالفا لهم وانتهت بذلك محنة الإمام أحمد بن حنبل وأُخرج من سجنه الذي زج فيه قبل 18سنة، وأُكرم بعد ذلك وألغي القول بخلق القرآن.

[1] ابن الخياط المعتزلي، كتاب الانتصار والرد على ابن الرواندي الملحد، تح: د.نيبرج، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط1، 1413هـ/1993م، ص 126.

2-المعتزلة في بلاد الغرب الإسلامي:

كانت المعتزلة من أقدم الفرق دخولا إلى المغرب ومن أكثرها تأثيرا فيه -خاصة الناحية الغربية منه-، ولكن الذي يلاحظ أن المعلومات المتوفرة عن هذه الفرقة وفكرها، نادرة جدا، فما هي إلا إشارات عابرة لا تكاد تفي بالمقصود وتراجم رجالها أيضا نادرة. لكن رغم ذلك كله، فإن الباحث يستطيع من خلال تلك الإشارات المتوفرة أن يرسم صورة عن دخول الاعتزال إلى المغرب، منها أن واصل بن عطاء رأس المعتزلة وأحد مؤسسي مذهبهم أبو القاسم البلخي، أرسل داعيته عبد الله بن الحارث إلى المغرب للدعوة لهذا المذهب، وأجابه خلق كثير و امتد تأثيره حتى بلغ مساحات شاسعة من بلاد المغرب. وقد قال واصل لأحد دعاته في المغرب:"الزم سارية المسجد سنة تصلي عندها حتى يُعرف مكانك، ثم أفت بقول الحسن سنة، ثم إذا كان يوم كذا وكذا من شهر كذا فابتدئ في الدعاء للناس بالحق"[1]. ومما يدلل على مدى انتشار هذا المذهب قول ياقوت الحموي أن " مجمع الواصلية (أصحاب واصل بن عطاء) كان قريبا من تيهرت، و كان عددهم نحو الثلاثين ألفا في بيوت كبيوت الأعراب يحملونها"، كما يذكر ابن خلدون أن المعتزلة كانوا في30 ألف ظواعن ساكني الخيام. كما يقول البلخي أن بلدة البيضاء(وهي ببلاد المغرب الأقصى) فيها مائة ألف يحملون السلاح يقال لهم الواصلية. ومنها أيضا تمذهب معظم الأمراء الأغالبة بالاعتزال، و لا شك أنهم كانوا في ذلك مقلدين لمن انتسب لمذهب المعتزلة من خلفاء بني العباس أمثال المأمون والمعتصم والواثق ، وقام يحي بن عون وسليمان بن عصفور بنفس الدور الذي قام به بشر المريسي

[1]أبو القاسم البلخي، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تح:فؤاد السيد، الدار التونسية للطباعة، 1973م، ص 67.

في المشرق، حيث نشر البدعة في كل مدينة من مدن المغرب وكل زاوية من زواياه، وأصبح هو شيخ المعتزلة بالقيروان، كما تذكر لنا المصادر المغربية بأن زعيم قبيلة أوربة كان معتزليا وهو الذي كان له الدور الأبرز في اعتلاء مؤسس دولة الأدارسة ذلك المنصب، ويذكر صاحب الاستبصار أن:إدريس بن عبد الله وافق إسحاق الأوربي على مذهبه المعتزلي، فتابعه على مذهبه، وذلك في سنة 172هـ"[1] وقد تقلد المعتزلة مناصب سياسية هامة فيها، وينسب إلى قبيلة زناتة الواصلية التي كانت مضاربها خارج مدينة تيهرت القيام بالتمرد على عبد الوهاب الرستمي سنة 195هـ،والتهديد بإسقاط الدولة الرستمية، وبعد مساجلات بين الفريقين استطاع عبد الوهاب القضاء عليهم بمساعدة النفوسيين[2].

وقد دفع هذا الشاعر المعتزلي صفوان الأنصاري للإشادة بانتشار مذهب الاعنزال وزعيمهم في بلاد المغرب بقوله:

له خلف شعب الصين في كل ثغرة إلى سوسها الأقصى وخلف البرابر[3]

ولأن أمراء الأغالبة في ذلك الوقت كانوا على مذهب العباسيين ومحاولة منهم لاكتساب الشرعية منهم، فقد أخذوا الناس على مذهب الاعتزال وألزموهم بالقول بخلق القرآن وامتحنوهم فيه، وأطلقوا أيديهم في العقاب على ذلك، حتى عمل القاضي الحنفي

[1]مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نش وتعليق سعد زغلول، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986م، ص 194.

[2]محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1406هـ/1985م.

[3]عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب البيان والتبيين، دار الهلال، بيروت، 1423هـ، ج1، ص44.

ابن الجواد على نصرة آرائه عبر منصبه، ووصل به الأمر إلى استحلال دماء مخالفيه ممن لم يقر بخلق القرآن. ومما يدل على انتشار هذا المذهب وأنه كان مذهبا يدرس أن الإمام سحنون لما آل إليه منصب القضاء فرق حلق أهل البدع من الجامع ، وشرد أهل الأهواء منه، وكانوا فيه حلقا من الصفرية والإباضية والمعتزلة، يتناظرون فيه ويظهرون زيغهم فعزلهم أن يكونوا أئمة للناس أو معلمين لصبيانهم أو مؤذنين، وأمرهم ألا يجتمعوا وأدب جماعة منهم بعد هذا خالفوا أمره وأطافهم وتوب جماعة منهم، فكان يقيم من أظهر التوبة منهم على المنبر وغيره فيعلن توبته عن بدعته[1].

ولقد كان لعلماء المغرب عداء شديد وموقف متشدد من المعتزلة، يذكر الدباغ قولا لابن فروخ فقيه القيروان فيهم:"فعلى المعتزلة لعنة قبل يوم الدين، وبعد يوم الدين، وفي طول دهر الداهرين".

ويتضح العداء للمعتزلة من قصة أبي عثمان الحداد مع البهلول بن راشد، إذ قال جزت بسقيفة العراقي وهم يتناظرون في الاعتزال فوقفت أسمع منهم فبلغ ذلك بهلولا فلما جئته أقبل علي، وجعل يقول يا محمد بلغني أنك مررت بسقيفة العراقي وهم يتناظرون في القدر فوقفت تستمع إليهم وأغلظ علي.

وقيل أن رجلا من أصحاب البهلول بن راشد توفي وكان فاضلا، فحضره عبد الله بن غانم والبهلول وابن فروخ، فأتي بجنازته وجنازة ابن صخر المعتزلي، فصلى على الرجل، ثم قدم ابن صخر، فقالوا لابن غانم: الجنازة، فقال: كل حي ميت، قدموا دابتي ولم يصل

[1] القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تح:عبد القادر الصحراوي، المحمدية، المغرب، مطبعة فضالة، 1970، ج4، ص60.

عليه، ثم قيل لابن فروخ:الجنازة، فقال: كل حي ميت ولم يصل عليه، ثم قيل لبهلول: الجنازة، فقال مثل ذلك[1].

ورغم هذا فقد لاقى هذا المذهب مواجهة شديدة من أنصار المذهب المالكي، خاصة في محنة خلق القرآن، ووصل الأمر إلى حد تكفير بعضهم البعض، حتى اضطر الأمراء الأغالبة –الذين كانوا على مذهب الاعتزال تماشيا مع مذهب الدولة العباسية آنذاك– إلى التنازل عن هذا الأمر والرجوع إلى المذهب المالكي.

أما في الأندلس فيذكر أن عبد الله بن مسرة الذي رحل إلى العراق وأخذ عن مشايخ أهل الاعتزال، كان ممن نشر مبادئهم خفية في الأندلس، وقد أورث كتبه وعلمه ابنه محمدا الذي كان له أكبر الأثر في الحركة الفكرية الأندلسية.

[1]أبو العرب، طبقات علماء افريقية وتونس، تح:علي الشابي ونعيم حسن اليافي، الدار التونسية للنشر، 1968م، ج2، ص 129.

المحور الرابع: المذهب الإسماعيلي من الدعوة إلى الدولة.

1-تعريف الشيعة:

أولا:لغة: الشيعة تقابل العدو، قال الله تعالى في قصة موسى-عليه السلام-:"فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه"(سورة القصص، الآية15)، وكذلك ذكر الله تعالى حاكيا عن إبراهيم -عليه السلام- في سياق ذكر قصص الأنبياء -عليهم السلام- من لدن آدم، وأنهم إخوة بعضهم من بعض: "وإن من شيعته لإبراهيم"(سورة الصافات، الآية83).

وجاء في التاج للزبيدي:"وشيعة الرجل أتباعه وأنصاره، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة"، وقال الأزهري:"معنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضا وليس كلهم متفقين" وفي الحديث:"القدرية شيعة الدجال"، أي أولياؤه.

وأصل الشيعة الفرقة من الناس على حدة وكل من عاون إنسانا وتحزب له فهو شيعة، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث، بلفظ واحد ومعنى واحد، وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى عليّا وأهل بيته حتى صار اسما لهم خاصا فإذا قيل فلان من الشيعة عرف أنه منهم وفي مذهب الشيعة كذا، أي عندهم، أصل ذلك المشايعة، وهي المطاوعة والمتابعة[1]...

[1]محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1422هـ/2001م، ج21، ص 302.

وقال الزمخشري:" من شيعته، ممن شايعه على أصول الدين وإن اختلفت شرائعهما، أو شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة الكاذبين"[1]

ثانيا:اصطلاحا:

الشيعة في عرف الكلام هم أتباع علي وبنيه، ويقال لهم شيعة آل البيت، ظهروا لأول مرة عند انشقاق الخوارج، وإنهم سموا كذلك لبقائهم إلى جانب الإمام علي، ولبثوا يرقبون الحوادث والفرص حتى ولي الخلافة علي، ومذهبهم جميعا هو أن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة، ويختار القائم بها بتعيينهم، بل هي ركن من أركان الدين لا يجوز لنبي إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة، بل يجب عليهم تعيين الإمام لهم، وأن يكون عذا الإمام معصوما من الكبائر والصغائر، وأن عليا هو الذي عينه النبي للخلافة من بعده، وهم يؤيدون ذلك بآيات من القرآن يفسرونها طبقا لرأيهم، وأحاديث ينسبونها إلى النبي–صلى الله عليه وسلم–.

وقد قيل أن أول من تشيع هو عبد الله بن سبأ ويكنى بأبي السوداء، وقيل أن بعثه كان من طرف يهود صنعاء ليشكك المسلمين في أمور دينهم ويلبس عليهم، ويدخل العقائد الفاسدة إلى عقول أهل الإسلام، ولكن علي بن أبي طالب تصدى له هو وجماعته وأحرقهم بالنار بعد أن استتابهم ليكونوا عبرة لمن خلفهم.

[1]محمود بن أحمد بن عمر الزمخشري، ضبطه وصححه ورتّبه: مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث، القاهرة، دار الكتاب العربي،بيروت، ط3، 1407هـ،1987م،ج4، ص48.

2–فرق الشيعة:

وقد اختلف الشيعة فيما بينهم في مساق الخلافة بعد علي، فمنهم من ساقها في ولد فاطمة (ابنة النبي وزوج علي) بالنص عليهم واحدا بعد واحد، وهم الإمامية. ومنهم من ساقها في ولد فاطمة بالاختيار، واشترطوا أن يكون الإمام منهم عالما زاهدا جوادا شجاعا، وأن يخرج داعيا إلى إمامته وهم الزيدية. ومنهم من ساقها بعد علي وابنيه الحسن والحسين (ابني فاطمة) إلى أخيهما محمد بن الحنفية، وهم الكيسانية نسبة إلى مولاه كيسان.

وأما الإمامية فقالوا بإمامة علي ثم ابنه الحسن بالوصية، ثم أخيه الحسين، فابنه زين العابدين، فابنه محمد الباقر، فابنه جعفر الصادق.

ومن هنا اختلفوا إلى فرقتين:

–قالت الأولى بإمامة ابنه موسى الكاظم، فابنه علي الرضا فابنه محمد الحسن العسكري، فابنه محمد المهدي وهو الثاني عشر من هؤلاء الأئمة، ولذا سميت هذه الفرقة بالاثني عشرية. وغلى هنا تقف بأئمتها وتقول إن خاتمهم وهو محمد المهدي لم يمت وإنما اختفى وتغيب حين اعتقل مع أمه ولا يزال مختفيا إلى آخر الزمان ثم يخرج فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، ويسمونه المهدي المنتظر.

–وقالت الأخرى بإمامة ابنه إسماعيل وهم الإسماعيلية ولقبوه بالإمام، ثم ابنه محمد المكتوم، وهو أول الأئمة المستورين لأن الإمام عندهم قد لا يكون ذا شوكة فيستتر، فإذا كانت له شوكة ظهر وأظهر دعوته، ثم من بعده إلى ابنه جعفر الصادق ثم ابنه محمد

الحبيب وهو آخر المستورين، ثم ابنه عبيد الله المهدي الذي فر إلى أفريقية، وقام بدعوته هنالك، وأسس دولة العبيديين، وأسس بنوه دولة الفاطميين في مصر، ويسمى هؤلاء الإسماعيلية أيضا بالباطنية نسبة إلى قولهم بالإمام المستور أي الباطن[1].

ويقول الإسماعيلية إن جعفر الصادق أقام لحفيده محمد بن إسماعيل بعد موت أبيه كفلاء وحجابا، يتولون أمر الدعوة عنه، وهم ميمون بن بن غيلان بن بيدر بن مهران بن سلمان الفارسي وابنه عبد الله بن ميمون(ت198هـ)، ويسمونه في عقيدتهم الستر والكفيل، ويقول آخرون عنهما أنهما استغلا موت محمد بن إسماعيل واغتصبا الأمر من بعده.

ويقول عنه المقدسي وعن نسبهم:"..من "بني عبيد" أظهروا للناس أنهم شرفاء فاطميون فملكوا البلاد وقهروا العباد، وقد ذكر جماعة من أكابر العلماء انهم لم يكونوا لذلك أهلا ولا نسبهم صحيحا، بل المعروف انهم بنو عبيد وكان والد عبيد هذا من نسل القداح الملحد المجوسي، وقيل كان والد عبيد هذا يهوديا من أهل سلمية من بلاد الشام وكان حدادا وعبيد هذا كان اسمه سعيد فلما دخل المغرب تسمى بعبيد الله وزعم أنه علوي فاطمي وادعى نسبا ليس بصحيح"[2].

[1] محمد إبراهيم الفيومي، الفرق الإسلامية وحق الأمة السياسي، دار الشروق، القاهرة، 1418هـ/1998م، ص 318.

[2] شهاب الدين المقدسي، كتاب الروضتين، في أخبار الدولتين، تح: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997، ج2، 214.

3-أهم عقائد الإسماعيلية:

أولا-نفي الأسماء والصفات عن الله تعالى:

تميزت الإسماعيلية عن غيرها من الفرق -حتى الشيعية منها- بعقائد باطنية ومنها عقائد الأسماء والصفات فقد رفضوا فكرة الأسماء والصفات لأن الله تعالى حسب زعمهم لا ينضبط باسم ولا يوصف بوصف فهو عندهم تقييد لله تعالى، لذلك فهو فوق كل المعاني والأسماء والصفات، ويقولون في ذلك: "الحمد لله الذي عزّ عن أن يكون له مثال، وجلّ عن أن ينعته بوجه من الوجوه مقال، الذي حارت العقول فيه، فلا تنهض لطلب مسلك في إدراك ما تسمه به"[1]، كما يقول قائلهم:" غير واقعة (يقصد الأسماء والصفات) على المبدع حقيقة الوقوع، ولا يعبر بها عنه بالقول المنطوق به المسموع، جلّ أن تقع الأسماء والصفات عليه، وتعالى أن يشار إليه، فإن قلنا خلق فالمخلوق عُني، وإن قلنا أوجد، فإلى الموجد أشير وكُني بما أدت إليه ضرورة العبارة، والحروف المستعارة"[2]، فالله حسب مذهبهم لا موجود ولا غير موجود، لا قادر ولا عاجز، ليس بالقديم وليس بالمحدث.

---

[1] الكرماني، أحمد حميد الدين، الرسالة الدرية في معنى التوحيد والموحد، ضمن مجموعة رسائل الكرماني، تح: مصطفى غالب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1403هـ/1983م، ص 19.

[2] العلاوي أحمد بن مصطفى، مفتاح الشهود في مظاهر الوجود، المطبعة العلاوية بمستغانم، الجزائر، ط03، 1994، ص 19.

ثانيا–الإمامة بين النبوة والولاية:

كان لمسألة الإمامة أهمية كبيرة في التاريخ الإسلامي، حتى أضحت المسالة المميزة للشيعة عن السنة، وهي في نظر الإسماعيلية جوهر الدين والمحور الذي تدور حوله كل المسائل الدينية، فهي أهم المسائل الإيمانية على الإطلاق في نظرهم، إذ يقول أحد دعاتهم: "إنه لما كانت الإمامة هي قطب الدين وأساسه، والتي يدور عليها جميع أمور الدين والدنيا، وصلاح الآخرة والأولى وينتظم بها أمور العباد، وعمارة البلاد، وقبول الجزاء في دار المعادن وبها يصل إلى معرفة التوحيد".. يتكلم الإسماعيلية في إيمانهم بالرسل عن التمييز بين الرسول الجسماني والرسول الروحاني، ففي كل إنسان رسول من الله ولكل الناس أرسل خاتم الأنبياء والرسل، يقول السجستاني: "لما كانت الرسل صلوات الله عليهم إنما أتت إلينا لتأمرنا بالمحمودات، وتنهانا عن المذمومات..ووجدنا العقل أيضا يأمرنا بالمحمود الحسن..وإن الرسول إنما يؤدي إلينا ما تعرفه عقولنا..إذن فهو أول رسول من الصانع إلينا ليأمرنا وينهانا، والرسول الجسماني آخر رسول إلينا، وقد صح أن أول رسول من الصانع إلى المصنوعين إنما هو العقل"[1].

كما تقول الإسماعيلية بفكرة الولاية وختمها وهي خاصة بعلي بن أبي طالب، فهو خاتم الأولياء في نظرهم وأولهم من حيث الحقيقة ويسبق في ذلك آدم في نبوته، وهي

[1] السجستاني أبو يعقوب، كتاب إثبات النبوءات، تح:عارف تامر، دار المشرق، بيروت، ط2، 1982، ص 49.

جزء أساسي من منطلقات العقيدة على المذهب الإسماعيلي، إذ الرعاية الربانية بالعباد كما أرسلت الرسل توجب الوصاية بمن يكمل مشوار الرسل ولا يتركون أمور الدنيا تفسد، وأنه بسبب عدم التزام الناس بوصية الرسول–صلى الله عليه وسلم– لعلي وآل البيت بالإمامة حل الفساد ووقعت الفتن والحروب، يقول الكرماني:" العجب من منكري الإمامة..إذ لم يعلموا ان في إرسال الرسول إلى خلقه وإهمالهم إياه بعد خروجه وآله من العالم، من غير إقامة إمام عالم بالشريعة، هاد إلى الحقيقة عن الفساد وتبرج بين العباد، ومن صحتها أقول ما ظهر من بين ظهراني الامة من الاختلافات الشنيعة والمنازعات العظيمة التي أدت إلى سفك الدماء المحقنة".[1]

والإمامة عندهم تنتقل من الآباء إلى الأبناء ولا تنتقل من أخ إلى أخ آخر باستثناء الحسن والحسين لبني الإمام علي بن أبي طالب، فالأب ينص على ابنه في حياته، وهذا الإيمان أصل من أصول المذهب الفاطمي في تسلسل الإمامة عندهم، وأن الله سبحانه وتعالى لا يترك العالم بدون إمام ظاهر مكشوف أو باطن مستور تنتقل الإمامة إليه بعد أبيه الإمام من نسل علي بن أبي طالب، وأن الإمام هو حجة الله على عباده، وهاديهم إلى الطريق القويم، ويجب على كل مؤمن أن يتبع هذا الإمام ويعتقد بولايته التي تنتقل من الأب إلى الابن، لأن الولاية هي الأصل الذي يدور عليه موضوع الفرائض"[2].

[1] الكرماني، المرجع السابق، ص 204.

[2]علي نوح، الإسماعيلية بين أنصارها وخصومها، دار التوحيدي للنشر، سوريا، ط1، 2000م، ص 49.

ويرد ابن تيمية على اعتقادهم الفاسد هذا إلى أن من يعتقد بأن الإمامة هي جوهر المسائل الدينية وأهمها على الإطلاق فهو كافر بإجماع المسلمين سنيهم وشيعيهم[1].

4-المذهب الإسماعيلي في بلاد المغرب:

انتقل دعاة الإسماعيلية إلى مدينة سلمية[2] بالشام، وأقاموا بها مركزا لنشر دعوتهم وقد كانوا أصحاب جهد واجتهاد، يبعثون الدعاة إلى البلاد البعيدة فأرسلوا سنة 145هـ منصور اليمن وهو ابن حوشب وابن الفضل على اليمن وأشهر داعيين إلى بلاد المغرب وهما الحلواني وأبو سفيان، ويقال أن الذي أوفدهما هو الإمام جعفر الصادق وقال لهما: "بالمغرب أرض بور، فاذهبا واحرثاها حتى يجيء صاحب البذر، فنزل أحدهما ببلد مراغة، والآخر بسوق جمار، وكلتاهما من أرض كتامة، فغشت هذه الدعوة في تلك النواحي."[3]. ورغم ما أورده ابن خلدون غير أن هناك خلافا حول إرسالهما من طرف الإمام جعفر الصادق من عدمه.

وفي أحد مواسم الحج يتعرف أحد كبار دعاة الإسماعيلية وهو الحسين بن أحمد الأهوازي إلى الحسن بن أحمد بن زكريا الذي عرف بأبي عبد الله الشيعي او الصنعاني الذي اقتنع بفكرة الإسماعيلية والتحق بالداعي منصور اليمن ولازمه وتعلم على يديه مبادئ المذهب، وبعد حيازته ثقة الداعي منصور قرر أن يبعثه إلى بلاد المغرب خاصة

---

[1] ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، تح:محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، 1406هـ/1986م، ج1، ص 75.

[2] مدينة بالشام، غرب دمشق، تبعد عن مدينة حماة 28 كلم إلى الشرق، وعن مدينة حمص 45 كلم إلى الشمال، تمتاز بسهولها ومروجها.

[3] ابن خلدون، العبر ج4، ص 31.

بعد وفاة الداعيين السابقين إليها، وفي خطة عمل متقنة ذهب أبو عبد الله الشيعي إلى الحجاز، وبدا بنشر نشاطه وتنفيذ خطته، إذ أنه مع قدوم وفود الحجاج من بلاد المغرب بدأ يتقرب إليهم ويتودد ويظهر علمه بينهم، ويبين لهم ورعه وتقواه، وزهده وتقشفه، حتى رغبوا في اصطحابه معهم للتزود من علمه والانتفاع به، فأظهر لهم التردد إمعانا في تثبيت خطته، ثم نزل عند رغبتهم وسافر معهم بعد انتهاء موسم الحج قاصدين بلادهم، حتى وصلوا بلاد كتامة من أرض المغرب سنة 288هـ، ولما كان صاحب دهاء وفطنة فقد استطاع في فترة وجيزة أن يحيط علما بكل أحوال القبيلة والبلاد المحيطة بها، وأن يعلم مدى رغبتهم في تغيير أحوال بلادهم والثورة على حكامهم، فاستغل ذلك لتحقيق غاياته وأهدافه، وقد سألهم عن "فج الأخيار" فدلوه عليه فقصده معهم وهو في سفح جبل إيكجان قريبا من مدينة قسنطينة الحالية ثم قال لهم كما تذكر المصادر الإسماعيلية: " هذا فج الأخيار وما تسمّت إلا بكم، فلقد جاء في الأخبار أن للمهدي المنتظر هجرة يجلو بها عن الأوطان، وينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان. قوم اسمهم مشتق من الكتمان(ويعني بهم قبيلة كتامة) ولخروجهم من هذا الفج سميت فج الأخيار"، وبمثل هذه الدعايات، والكلام الفصيح والنبوءات استجلب مساندة البربر وأقبلت عليه القبائل طائعة راغبة في دعوته ومذهبه، فاتخذ منذ ذلك الحين منزله ومركز دعوته الجديد "فج الأخيار" ومنه انطلق دعاته إلى باقي البلاد يدعون إلى الإسماعيلية مذهبا ويرغبون الناس في الثورة على الولاة والأمراء، ويجمعون الجموع ويمهدون الطريق للغزو، ومع وفاة الأمير إبراهيم بن أغلب سنة 291هـ وتولي ابنه "أبي العباس" ولم يكن له حنكة ولا تدبير سلفه، بدأت الأعمال العسكرية سنة 291هـ وسقطت المدن والقلاع في يد أبي عبد الله الشيعي ودانت له البلاد واستطاع في فترة وجيزة السيطرة على مناطق الدولة الأغلبية إذ

دخل مدينة رقادة سنة 296هـ وأقام عليها أخاه "أبا العباس" واستمر هو في طريقه إلى دولة الرستميين التي استطاع أن يجهز عليها ويقضي على آخر أمرائها، خاصة مع الضعف والتناحر بين أفراد البيت الحاكم، ودخل تيهرت منتصرا وقضى على فلول الإباضيين وأحرق مكتبة المعصومة الشهيرة ولم يبق من كتبها إلا ما كان خاليا من تعاليم المذهب الإباضي، وقد بلغه في أثناء ذلك أخبار سجن عبيد الله المهدي وابنه في سجن سجلماسة من قبل المدراريين فاستخف جيوشه لنجدته، قاطعا تلك البلاد وفاتحا مدنها الواقعة على طريقه، فدخلها في رجب من سنة 296هـ، بعد أن فرّ أميرها "اليسع بن المدرار" وأخرج منها عبيد الله المهدي وقدمه لأتباعه ونودي به أميرا وخليفة للمسلمين[1]، فبايعه الناس وأقيمت الاحتفالات والأفراح، وسار الركب المنتصر إلى القيروان فدخلها في أواخر سنة 296 وأعلن قيام الدولة الفاطمية العبيدية ذات المذهب الإسماعيلي، وانتقل بها المهدي إلى رقادة سنة 297هـ، وبدأ بوضع أسس الدولة الفتية وتنظيم أمورها.

5-الإسماعيلية من الدعوة إلى الدولة :

بدأت الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب مع دخول عبيد الله المهدي إلى رقادة سنة 297هـ، وتلقب هنالك بأمير المؤمنين ثم بنى المهدية وانتقل إليها وتوفي بها سنة

[1] يقول عنه المقدسي:"..ثم ترقت به الحال إلى أن ملك وتسمى بالمهدي وبنى المهدية بالمغرب ونسبت إليه، وكان زنديقا خبيثا عدوا للإسلام متظاهرا بالتشيع متسترا به حريصا على إزالة الملة الإسلامية قتل من الفقهاء والمحدثين والصالحين جماعة كثيرة وكان قصده إعدامهم من الوجود ليبقى العالم كالبهائم فيتمكن من إفساد عقائدهم وضلالتهم، والله متم نوره ولو كره الكافرون، ونشأت ذريته على ذلك منطوين يجهرون به إذا أمكنتهم الفرصة وإلا أسروه، والدعاة لهم منبثون في البلاد يضلون من أمكنهم إضلاله من العباد وبقي هذا البلاء على الإسلام من أول دولتهم إلى آخرها وذلك من ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومئتين إلى سنة سبع وستين وخمس مئة." المقدسي، المصدر السابق، ص 216.

322هـ، فخلفه ابنه محمد أبو القاسم الملقب بالقائم بأمر الله، الذي انهزم جيشه وهو يحاول دخول مصر وتوفي سنة 334، وتولى بعده ابنه أبو الطاهر إسماعيل الملقب بالمنصور بنصر الله، وفي عهده قويت أبرز الثورات ضد الحكم الفاطمي وهي ثورة أبي يزيد المعروف بصاحب الحمار والتي كان لها الأثر البالغ في تأليب الناس ضد الحكم الفاطمي في بلاد المغرب واستطاع هذا الرجل أن يهزم جيوشا عديدة للإسماعيليين وكاد أن يدخل المهدية في آخر الأمر، لكن المنصور تصدى له وأوقع به هزيمة نكراء وقتله وشتت جيشه سنة 339، وتوفي بعدها بسنتين وخلفه ابنه معد الملقب بالمعز لدين الله، وهو الذي كلف القائد جوهر الصقلي بالتوجه على رأس جيش كبير إلى أقاصي المغرب فأعاد فتح المدن والقرى، منها تيهرت، وأفكان وفاس وسجلماسة، ثم وجهه إلى مصر على رأس جيش قوامه مائة ألف مقاتل فدخلها سنة 358هـ، وأنهى حكم الإخشيديين بها، وبنى القاهرة وجامع الأزهر، ثم انتقل إليها المعز سنة 361، بعد أن خلف على بلاد المغرب "بلكين بن زيري الصنهاجي" وأوكل إليه مهمة إدارة بلاد المغرب باسم الفاطميين وسماه يوسفا ولقبه بـ"سيف الدولة" وكناه أبا الفتوح وخلع عليه كسوته التي كانت عليه وزودّه بمال عظيم وأوصاه وهو مغادر مدينة المنصورة التي اتخذها عاصمة له:"يا يوسف إن نسيت مما أوصيتك به فلا تنس ثلاثة أشياء: لا ترفع الجباية عن أهل البلاد، ولا ترفع السيف عن البربر، ولا تول أحدا من إخوتك فإنهم يرون أنهم أحق بالأمر منك، واستوص بأبي مضر خيرا"[1].

[1] النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، 1423هـ، ج24، ص 170.

واتخذ المعز لدين الله القاهرة عاصمة جديدة للدولة وتسلم ابنه المنصور نزار الملقب بالعزيز بالله الخلافة بعد موت أبيه من سنة 364 إلى غاية 386هـ فخلفه ابنه الصغير(12 سنة) أبو علي منصور ولقب بالحاكم بأمر الله الذي يقال أنه اختفى أو قتل وتولى بعده الظاهر لإعزاز دين الله سنة 411هـ، ثم وكل الامر إلى أبي تميم معد ولقب بالمستنصر بالله سنة 427، وكان سنه حوالي سبع سنوات فقط فأدارت شؤون الحكم والدته ودامت خلافته قريبا من ستين سنة وبوفاته سنة 487هـ، خلفه ابنه أبو القاسم أحمد الملقب بالمستعلي بالله، واستمر في الحكم إلى غاية وفاته سنة 495 وتولي ابنه أبي علي منصور الآمر بأحكام الله وهو لا يزال في سن الخامسة، إلا أنه ما لبث أن قُتل وخلفه أبو الميمون عبد المجيد بن الأمير الملقب بالحافظ لدين الله، واستلم الحكم من بعده ابنه أبو المنصور ولقب بالظافر بأمر الله إلا أنه قتل سنة 549، وخلفه ابنه عيسى الفائز بأمر الله وبعد موته سنة 555 بويع ابن عمه العاضد لدين الله وهو الذي سقطت في حكمه الدولة الفاطمية سنة 567هـ على يد الأيوبيين.

المحور الخامس: المحور المذهب المالكي في بلاد الغرب الإسلامي: تاريخه، نشأته ومراحله

أولا:مراحل تطور المذهب:

لقد مر المذهب المالكي بعدة أطوار ومراحل نجملها في خمس، تأتي كالتالي:

1. مرحلة النشأة والتأسيس: ففي هذه المرحلة كانت الانطلاقة من المدينة النبوية على يد المؤسس إمام دار الهجرة مالك بن أنس الذي عمل على تمهيد الطريق لمن جاء بعده، وذلك بتأصيل الأصول، وتقعيد القواعد، ورسم خارطة المنهج العام الذي سلكه أتباعه من بعده، فإشاراته إلى مداركه الفقهية، ومصادره التي يرجع إليها هي الوسائل التي اتخذها الأصوليون من أصحابه معالم يهتدون بها، وقواعد يبنون عليها الفروع الفقهية الجزئية.

إن أصول الإمام مالك استقرائية تبعاً لمنهجه في استخراج الأحكام الشرعية، وطريقته الاجتهادية التي سار عليها في الاستنباط الفقهي، إضافة إلى ما ورد في موطئه من فتاوى وأحكام، وما كان ينقل عنه من روايات وأجوبة، فاستخلص أصحابه من كل ذلك ما ينبني المذهب عليه؛ لأن مالكاً رحمه الله لم يحدد هذه الأصول بنفسه، ولم يدونها بطريقة

ممنهجة مثلما فعله المؤلفون الأصوليون كالشافعي مثلا الذي ألف في الأصول كتابه المشهور الرسالة.

2. مرحلة التفريع : والمراد بالتفريع هنا بناء الفرع على أصله، واستنباط حكمه منه، وذلك في رواية المذهب فقط، وهذه المرحلة هي التي ظهر فيها أتباع مالك وتلامذته، آخذين بمنهجه في الإفتاء في الحوادث والوقائع؛ فقد كان أصحابه يربطون المسائل بأصوله وقواعده، ويقيسون ما لم يرد عنه نص على ما ورد فيه النص من مذهبه.

وقد بدأت هذه المرحلة من نهاية القرن الثاني الهجري حتى منتصف القرن الثالث الهجري، وفيها توسع نفوذ المذهب وامتد خارج المدينة نحو العراق ومصر وإفريقية والأندلس على يد أتباعه من تلامذته الذين تكونت بهم وعلى أيديهم المدرسة المالكية.

3. مرحلة التطبيق : وهي مرحلة النظر فيما أنتجه طور التفريع الفقهي الذي سبق الاجتهاد في تحقيق المناط في الوقائع الطارئة المستجدة، ومما يميز هذه المرحلة كونها اهتمت بدراسة المسائل والقضايا التي ضمتها مدونات جامعة أنتجتها مرحلة التفريع؛ فقد عكف الفقهاء في عصر هذه المرحلة على الموازنة والمقارنة بين مختلف تلك الوسائل رابطين الأصول بالفروع، ملحقين الشبيه بالشبيه، والنظير بالنظير، ضابطين مواقع الاتفاق والاختلاف بين تلك الأقوال المأثورة عن الفقهاء السابقين، وفي بعض الأحيان قد يجتهدون في المسائل التي لم يرد فيها حكم عن طريق القياس مما سبب وقوع خلاف بين المتأخرين والمتقدمين.

4. مرحلة التنقيح :وهي مرحلة تنقيح أقوال المذهب، واعتبار الدليل الأقوى منها رواية ودراية، وأهم تطور سجل في هذه المرحلة ظهور حركة نقدية على أقوال المتقدمين، بقصد

إخضاعها للنقد والتمحيص بطريقة مغايرة لما كان سائداً في السابق، مما تولد عنه نهج جديد في ميدان نقد الفقه، ومن أبرز هذه الحركة النقدية الإمام اللخمي الذي كان له تأثير واضح فيمن جاء بعده، حتى قيل أنه مزق الفقه المالكي كل ممزق؛ كما أشار له الشاعر الأديب:

لقد مزقت قلبي سهام جفونها **كما مزق اللخمي مذهب مالك

ولقد سار على نهج اللخمي في هذه الطريقة من الفقهاء المالكيين المازري وابن بشير وابن رشد الجد والقاضي عياض، وغيرهم ممن سلك مسلكه في طريقة نقد الفقه، فنقحوا ما أمكنهم تنقيحه من المسائل الفقهية، ونبهوا على ما وجدوا فيها من صحة وضعف.

5ـ مرحلة الجمع والاختصار :وقد جاءت هذه المرحلة بعد استقراء المناهج، والنظر في الفروع الفقهية تخريجاً وتطبيقاً وتنقيحاً، وما قام به أعلام المذهب من اجتهادات، كما تعتبر أيضا فترة بروز المختصرات ككتاب ابن شأس، ومختصر ابن الحاجب وابن عرفة وخليل بن إسحاق. فقد أصبح المتأخرون في هذا الطور دائرون في فلك المتقدمين، عاكفين ومنكبين على ما انتهى من أقاويل وآراء من سبقهم، لا يخرجون عن دائرة الشرح والتعليق والاختصار والتلخيص.

أما فيما يخص مدارس المذهب المالكي، فهي باختصار:

أ- **مدرسة الحجاز** :وتعتبر المدرسة الأم، كما تمثل الاتجاه الأثري في المذهب ومن أشهر رموزها ابن نافع، وابن كنانة، والأخوان ابن الماجشون ومطرف بن عبدا لله ومحمد

بن مسلمة، ويتميز هذا التيار بتقديم الأحاديث الشريفة على العمل وآثار الصحابة والتابعين. وقد أيد هذا التيار من المصريين ابن وهب، ومن الأندلسيين ابن حبيب.

ب-**مدرسة العراق** :ومن أبرز رجالاتها من الفقهاء القاضي إسماعيل، وابن القصار، والقاضي عبد الوهاب، وابن الجلاب، والشيخ أبوبكر الأبهري.

ج- **المدرسة المصرية** :احتلت هذه المدرسة مركز القيادة بين المدارس المالكية بزعامة ابن القاسم، واعتمدتها مدرستا إفريقية والأندلس اعتماداً كلياً، كما كانت سماعات ابن عبد الحكم، ومرويا ته عن مالك وأشهب وابن القاسم ذات حظوة عند الفقهاء المغاربة، وخصوصا مدونة سحنون.

د-**المدرسة المغربية** :تفيد المصادر التاريخية أن المذهب المالكي لم تطأ أقدامه بلاد الغرب الإسلامي، إلا بعد مذهبي الإمامين أبي حنيفة والأوزاعي، ويرى بعض المؤرخين أن أول المذاهب الفقهية دخولاً إلى الأندلس والمغرب هو مذهب الأوزاعي وفقا لما أشار إليه العالم المؤرخ أحمد المقري بقوله: (واعلم أن أهل الأندلس كانوا في القديم على مذهب الأوزاعي). وهذا لا ينافي دخول المذهب الحنفي في وقت مبكر طبقاً لما يقول القاضي عياض في ترتيب المدارك: (وأما إفريقية أي تونس وما وراءها، فقد كان الغالب عليهم في القديم مذهب الكوفيين إلى أن دخل علي بن زياد تـ 183هـ، وابن الأشرس ت 170هـ، والبهلول بن راشد ت 183هـ وبعدهم أسد بن الفرات ت213هـ وغيرهم.

أما المغرب الأقصى، فلم يصل إليه المذهب إلا متأخراً على يد دارس بن إسماعيل بفاس سنة 307هـ. وكان أهل المغرب قبل ذلك على مذهب أبي حنيفة، إلا أن المذهب المالكي قد ساد وانتشر، وأصبحت له الغلبة في النهاية، وهو ما أشار له القاضي عياض:

(لم يزل المذهب المالكي يفشو إلى أن جاء سحنون ت 240هـ فغلب في أيامه وفض حلق المخالفين، واستقر المذهب بعده في أصحابه في تلك الأقطار إلى وقتنا هذا).

وفي الأندلس، يعود الفضل في دخول المذهب وانتشاره عل يد زياد بن عبد الرحمن المعروف بشبطون ت 193هـ، الذي أول من أدخل كتاب الموطأ إلى الأندلس، كما كان تلميذه المشهور يحي بن يحيى الليثي هو الذي رسخ وثبت المذهب وأرسى دعائمه، ولا فرق بين هذه المدرسة والمدرسة المغربية، بل تعتبر امتداداً لها، خاصة وأن علماء الأندلس قد هاجر الكثير منهم إلى المغرب.

ومن المعروف، أن دولة المرابطين أخذت منذ تأسيسها بالمذهب المالكي، ووطدت أركانه، وعممته في جميع أنحاء البلاد التي حلت بها. كما بلغ الفقه المالكي أوجه وذروته في القرن التاسع الهجري، حيث تغلبت النزعة الفروعية المذهبية، مما جعل الفقهاء يبتعدون عن استنباط الأحكام من القرآن والحديث، ويكتفون بالمشهور حجة ودليلا، وخاصة عند ما دخل المختصر الخليلي البلاد المغاربية، حيث نال حظوة لا مثيل لها عند الفقهاء، وكاد يقضي على ما قبله من المختصرات الفقهية، واشتهرت تلك المقالة المروية عن بعض متأخري المالكية، وهي: (نحن خليليون إن ضل ضللنا، وإن اهتدى اهتدينا).

فالحاصل أن المغاربة أصبحوا كلهم مالكيين، وفي المالكية قاسميون وفي المدونة خليليون.

ثانيا:أسباب وعوامل انتشار المذهب في بلاد الغرب الإسلامي:

لقد عرفت بلاد الغرب الإسلامي بشقيها الأندلس وقطر المغرب العربي المذهب المالكي منذ أربعة عشر قرنا، واعتبروه أساس البناء الثقافي والحضاري، ومن الطبيعي أن يطرح حول هذا الاهتمام غير العادي، والإقبال الواسع على هذا المذهب من الأندلسيين والمغاربيين على حد سواء أكثر من سؤال، ويضع أكثر من علامة استفهام عن سبب هذا التمسك الكبير بهذا المذهب، وسيكون الجواب عن هذا الاستفسار راجع للعوامل التالية:

1–عوامل ترجع إلى شخصية مؤسس المذهب: فالإمام مالك عالم دار الهجرة وفقيهها، قد انتهى إليه علم أهل المدينة، وبلغ مرتبة الاجتهاد المطلق، وعرف عنه تمسكه الشديد بالسنة الصحيحة، وتشبثه بآثار الصحابة والتابعين، فقد جمع بين الحديث والفقه والرأي والأثر، والموطأ خير شاهد على ذلك، إضافة إلى الحديث الصحيح الذي ورد في عالم

المدينة: (يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل شرقاً وغربا؛ فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة). وكان ابن عيينة، يقول: كنت أقول هو سعيد بن المسيب، حتى قلت كان في زمانه سليمان بن يسار وسالم بن عبد الله وغيرهما، ثم أصبحت أقول اليوم إنه مالك، لأنه لم يبق له نظير في المدينة.

2- ملاءمة المذهب المالكي لطبيعة المغاربة في بلاد الغرب الإسلامي وسائر أقطار المغرب العربي؛ لأنه مذهب علمي مقيد بالواقع، ويأخذ بأعراف الناس وعاداتهم؛ فهو فقه عملي أكثر من نظري، ويتماشى مع طبيعة الفطرة في بساطتها ووضوحها، وأهل المغرب بطبيعتهم يميلون إلى البساطة والوضوح في كل القضايا والأمور، ناهيك أنه نشأ بالمدينة المنورة التي هي مأرز الإيمان ومصدر العلوم الإسلامية، ومنها تفرعت إلى باقي الأمصار الإسلامية، كما اكتسبت المدينة محبة خالصة في قلوب المغاربة.

3- قوة رجال المذهب وجلالة المنتسبين إليه من فطاحلة الفقهاء: فبقدر ما يكون أتباع المذهب أقوياء متضلعين في العلوم، ولهم قدرة فائقة على استنباط العلوم بقدر ما شاع المذهب وساد وانتشر.

4- مناهضة فقهاء المالكية لفقهاء الحنفية؛ لكون هؤلاء الأخيرين كانوا يتساهلون في إصدار الأحكام الشرعية، كتخليل النبيذ مسايرة للترف الذي كان يعيشه الحكام الأغالبة، وكالقول بخلق القرآن الذي مال إليه أيضا الأغالبة وتبعهم فيه بعض فقهاء الأحناف، وهي مسألة امتحن فيها سحنون من المالكية، مما شجع المغاربة وجعلهم يميلون إلى الفقه المالكي، كما مالوا عن الشافعية؛ لأن الشافعي أخذ عن مالك وخالفه، وعزفوا عن المذهب الحنبلي؛ لأنه كان يأخذ بالخبر الضعيف، ويقدمه على القياس.

5- تشابه البيئة في كل من القطرين: الحجاز وبلاد الغرب الإسلامي، وهو ما أكده ابن خلدون الذي يرى أن البداوة كانت غالبة على أهل المغرب والأندلس، فكانوا إلى الحجاز أميل لمناسبة البداوة. وهذا التشابه في البيئة دفع ابن خلدون إلى وصف المغاربة وأهل الأندلس بالبداوة والبعد عن الحضارة، حيث يقول في مقدمته وهو يتحدث عن سبب قبول أهل المغرب والأندلس لمذهب مالك: "وأيضا فالبداوة كانت غالبة على أهل المغرب والأندلس، ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق فكانوا إلى أهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة، ولهذا لم يزل المذهب المالكي غضا عندهم ولم يأخذه تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب، ولما صار مذهب كل إمام علما مخصوصا عند أهل مذهبه ولم يكن لهم سبيل إلى الاجتهاد والقياس احتاجوا إلى تنظير المسائل في الإلحاق وتفريقها عند الأشباه بعد الاستناد إلى الأصول المقررة من مذهب إمامهم وصار ذلك كله يحتاج إلى ملكة راسخة يقتدر بها على ذلك النوع من التنظير أو التفرقة وابتاع مذهب إمامهم فيهما ما استطاعوا، وهذا الملكة هي علم الفقه في هذا العهد...وأهل المغرب جميعا مقلدون لمالك رحمه الله.

6- رحلة المغاربة إلى الحجاز غالبا لأداء مناسك الحج والعمرة والزيارة، ومن أمثلة ذلك البهلول بن راشد، وأسد بن الفرات، والإمام سحنون وابنه. وكان هؤلاء المرتحلون لطلب علم الإمام مالك يجلسون إلى الناس بعد عودتهم من بلاد المشرق، يعلمونهم مسائل الحلال والحرام وأحكام الدين ويحدثونهم عن رحلتهم والمكانة الرفيعة التي نالوها عند الإمام مالك وأصحابه، واحتل الراحلون الصدارة في المجالس واجتذبوا الناس إليهم بما يحكونه من أنباء رحلتهم العلمية وأحوال مشايخهم وأخبارهم ولطائف الحكم وطرائف

النكت التي يسمعونها، والوقائع الصحيحة التي صادفوها، فيستنهضون بذلك همم الطلبة ويشجعونهم على سلوك سبيل الرحلة.

7- دعم الحكام من الملوك والسلاطين للمذهب المالكي، وحمل الناس عليه، فمساندة الحكام للفقهاء المالكية كان من أهم أسباب ذيوع المذهب واستقراره بالمغرب والأندلس، وقوة فقهاء المذهب حملت السلطة الحاكمة على جعل مذهبهم هو المذهب الرسمي للدولة فوقع الاختيار نهائيا عليه لضمان الوحدة التشريعية والوحدة القضائية من جهة والبعد عن كل ما من شأنه جلب الخلافات الاعتقادية من جهة أخرى، فلو كان الحكم موكولا إلى القضاة على اختلاف المذاهب لكانت الفوضى وعدن الاستقرار، فقد أدرك الحكام أن التزام العمل بمذهب واحد يخدم الوحدة الوطنية والوحدة التشريعية والوحدة الاجتماعية وإشعار الناس بالمساواة أمام العدالة، لا فرق بين السيد والمسود والشريف والوضيع لذلك ناصروا مذهب مالك وأيدوه ببلادهم، ولعل أبرز مثال عن تأييد السلطة الحاكمة لمذهب مالك هو عبد الرحمن بن معاوية الداخل أمير الأندلس الذي بلغه أن الإمام مالك ضرب في مسألة الإكراه على البيعة بسبب أنه تمنى أن يكون مثل "عبد الرحمن الداخل" أميرا عليهم، فجمع "الأمير الداخل" الناس على مذهب مالك وكان سببا لانتشاره في بلاد الأندلس.

ثالثا: أصول المذهب، وقواعده، ومصطلحاته

من المعلوم أن الفقه هو العلم بالأحكام الشرعية المكتسبة من أدلتها التفصيلية، وأصوله هي الأدلة الإجمالية التي تنبني عليها أحكامها، وكانت نشأة أصول الفقه المالكي في شكل مجموعة من الردود، ظهرت بعد وفاة مالك، رد بها أصحابه على بعض خصوم المذهب، فكانت هذه الردود نواةً لتأصيل المذهب المالكي، ومن أبرز خصوم المالكية فقهاء الشافعية الذين قاموا بحملة كبيرة ضد المذهب المالكي، مما جعل آراء المذهب الشافعي ندباً في القطر المالكي، وتجذب بعض فقهاء المالكية إليه كابن عبد الحكم الذي تأثر بأقوال الشافعي، حتى أن بعض مؤرخي الشافعية كأبي إسحاق الشيرازي ذكر ابن عبد الحكم في عداد الشافعية، ولم يكن محسوباً عنده من المالكية، كما واجه المالكية أيضاً صدامات فكرية أشد من الأولى مع الظاهرية التي زاحمت المالكية في الأندلس، وعارضتها بأقصى العنف، وكان رائدها آنذاك أبو محمد علي بن حزم الظاهري الذي حاول بلسانه الذّرِب أن يهدم كل الأصول المالكية حجراً حجرا، لكن المالكية لم

يبقوا مكتوفي الأيدي ولا مكممي الأفواه، بل شمروا عن سواعدهم مدافعين عن مذهبهم وإمامهم، وجرت لهم مع ابن حزم مناظرات مشهرة كان رائدها أبو الوليد الباجي الذي ألف في الرد على ابن حزم والظاهرية، وهذه المناظرات جددت عند المالكية ضرورة إبراز أسس مذهبهم، وعرض آرائهم في الأصول، وذلك ما قام به أبو الوليد الباجي في كتابه القيم المعروف ب(إحكام الفصول في أحكام الأصول).

ويمكن إجمال أصول الإمام مالك فيما يلي:

1ـ الكتاب.

2ـ السنة.

3ـ الإجماع.

4ـ القياس.

5ـ عمل أهل المدينة.

6ـ خبر الآحاد.

7ـ سد الذرائع.

8ـ المصلحة المرسلة .

أما فيما يتعلق بالمدارس الفقهية المغربية؛ فنقول بأن الفقهاء المالكيين ساروا في اتجاهين رئيسين:

الاتجاه الأول: يميل إلى التقليد المحض، وعدم الخروج عن زاوية المذهب مكتفياً برأي إمامه كفاه مؤونة أتعاب البحث واستفراغ الجهد والوسع والطاقة في استخراج الأحكام الشرعية في استدلاله، فكل ما استنبطه من فروع كان له أصل ومدرك، حتى ولو لم نطلع عليه، وقد سادت هذه النزعة المذهبية عند ما قوي المذهب، واستغنى الناس بمختصراته ومتونه عن كتب الآثار، وخاصة عندما أقفل باب الاجتهاد، وهذه النزعة التقليدية نجدها تتجسد في قول الشيخ محمد بن أحمد:

وأهل مغرب عليهم يمنعوا ** غير الإمام مالك أن يتبعوا

لفقد غيره وكـل خـارج ** عن نهجه فهو من الخوارج

كما نجد أيضاً، العالم الأصولي المجدد، سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم الذي يعتبر رائد التأليف في فن الأصول لا يميل إلى ترك التقليد، بل يرى أن المقلد يحظر عليه الاجتهاد واستنباط الأحكام الفقهية من المصادر الشرعية كما جاء في قوله:

من لم يكن مجتهداً فالعمل ** منه بمعنى النص مما يحظل

الاتجاه الثاني: وهو اتجاه يميل إلى الانفتاح والتبصر، فهو وإن كان يقر بأنه من أتباع المالكية، إلا أنه لم يتعامل مع النصوص المالكية بالتقليد والانغلاق والجمود، بل تعامل معها بما هو أوسع وأعمق من ذلك، ومن أشهر أعلام هذا الاتجاه الإمام اللخمي الذي خالف مذهبه المالكي في جملة من الآراء في عدة مواضع، حتى عد ممزق المذهب كما أشار إلى ذلك أحد الأدباء بقوله:

لقد مزقت قلبي سهام جفونها **كما مزق اللخمي مذهب مالك

ولقد سار على هذا النهج أيضا من المالكية ابن العربي الذي كثيراً ما يخالف الرأي المالكي إذا ظهر عنده دليل يخالفه، ومما خالف فيه المالكية مسألة تأمين الإمام، حيث يرون أن التأمين خاص بالمأموم أو المنفرد، كما هو أيضا نهج القرطبي المفسر الذي اعترض على المالكية في بعض المسائل الفقهية منها قراءة المأموم الفاتحة جهرا مع الإمام. وقد خالف ابن رشد الجد مشهور المذهب المالكي في مسألة القبض في الصلاة، حيث يرى مشهر المذهب كراهة القبض، بينما يرجح ابن رشد ندبه وسنيته، وهو أيضا رأي مجموعة من حذاق المالكية كالقاضي عياض والباجي وابن العربي.

لم يكن الفقهاء المالكيون بالغرب الإسلامي بمنأى عن هذا الاتجاه، إذ يوجد منهم تيار يميل إلى التبصر ونبذ الجمود وترك التقليد الأعمى، كما يدعو إلى الأخذ بالقرآن والسنة وتقديمهما على مشهور المذهب، كما يتجلى ذلك في بعض المسائل الفقهية، والتي منها أيضا مسألة القبض، حيث نجد أحد علمائهم يميل إلى العمل بالقبض ويصرح بندبه وسنيته، وأنه مذهب الأئمة الثلاثة مع رواية عن الإمام مالك:

وندب القبض لدى الثلاثـة ** وعـند مالك على رواية

إلى أن يقول:

فاقبض على سنة صاحب الردا ** فمالنا إلا إتبـاع أحمـدا

المحور السادس: المذهب الظاهري

I-تعريف المذهب الظاهري:

يعتبر المذهب الظاهري من المذاهب الفقهية التي ظهرت في العالم الإسلامي وقد وضع قواعده وأسسه الإمام داوود الأصبهاني في بلاد المشرق العربي، ثم ازدهر أكثر في بلاد الغرب الإسلامي وتحديدا بالأندلس على يد الإمام ابن حزم الأندلسي.

التعريف اللغوي: يقال ظهر، يظهر، ظهورا، يعني البروز وتبينُ الشيء، وهو ضد الخفاء.

التعريف الاصطلاحي: هو المذهب الذي يقول بأن المصدر الفقهي هو النصوص، فلا رأي في حكم من أحكام الشرع، ونفى المعتنقون لهذا المذهب الرأي بكل أنواعه، فلم يأخذوا بالقياس ولا بالاستحسان ولا بالمصالح المرسلة ولا الذرائع، بل يأخذون

بالنصوص وحدها، وإذا لم يكن النص أخذوا بحكم الاستصحاب الذي هو الإباحة الأصلية الثابتة بقوله تعالى:"هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا"(البقرة28)[1].

مؤسس المذهب: هو داود بن علي بن خلف الأصبهاني الظاهري صاحب المذهب، يطلق على أتباعه الظاهرية والداودية، كنيته أبو سليمان، ولد بالكوفة وقيل بأصبهان سنة 200هـ وتعلم بها ثم نزل بغداد فعاش وتوفي بها سنة 270هـ، أخذ عن علماء كثيرين منهم سليمان بن حرب وعبد الله بن مسلمة القعنبي، وأبي ثور، وإسحاق بن راهويه بنيسابور، وكان إماما ورعا ناسكا، يعد من أئمة السنة ولو أنه خالفهم في أشياء أهمها ترك القياس الذي جلب له أتعابا كثيرة مع معاصريه العلماء، كذلك قوله في طبيعة القرآن، إذ روى الخطيب البغدادي عن أبي عبد الله الوراق المعروف بحوار، قال:" كنت أورق على داود الأصفهاني وكنت عنده يوما في دهليزه مع جماعة من الغرباء فسئل عن القرآن فقال: القرآن الذي قال الله تعالى لا يمسه إلا المطهرون، وقال في كتاب مكنون، هذا غير مخلوق، وأما الذي بين أظهرنا ونقرأه بأفواهنا محدث". لهذا اعتبره الإمام أحمد من أهل البدع ورفض أن يجلس إليه، وداود ينفي الرأي والاستحسان والمصالح المرسلة وعمل أهل المدينة، ولا يقول إلا بظاهر القرآن والحديث وينكر ما عداهما. كان أبوه حنفيا ونشأ داود شافعيا ثم اتخذ لنفسه مذهبا، عمدته القول بالظاهر وإنكار القياس والاستحسان والاستصلاح، ويقول الخطيب البغدادي في ترجمته:"إنه أول من أظهر انتحال الظاهر، ونفى القياس في الأحكام قولا، واضطر إليه فعلا، وسماه الدليل"[2].

[1] أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص506.

[2] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج8، ص 374.

II-خصائص المذهب الظاهري:

إن لكل مذهب خصائص تميزه عن غيره من المذاهب، وللمذهب الظاهري عدة خصائص انفرد بها عن المذاهب الفقهية التي سبقته وهي:

1-الأخذ بظواهر النصوص: وهي خاصية امتاز بها عن سائر المذاهب الأخرى وهذا الذي أعطى اتباعه اسم الظاهرية، أما نفيهم القياس فقد يوافقهم فيه بعض العلماء من المذاهب الأخرى، يقول ابن حزم:"العمل في أوامر القرآن ونواهيه على الظاهر والوجوب والفور وآي القرآن تحمل على عمومها، كما أن فهم النصوص على ظاهرها أمر طبيعي وهو الأصل لأن تحميل اللغة من المعاني التي لا تحتملها ضرب من الجور بالرأي[1].

2-نفيهم القياس والاستحسان والمصالح المرسلة وسد الذرائع والإجماع وعمل أهل المدينة، وقد قال داود الأصفهاني: الأصول هي الكتاب والسنة والإجماع فقط، ومنع أن

[1] ابن حزم، الإحكام، ج1، ص85.

يكون القياس أصلا من الأصول، وقال أول من قاس إبليس، فقيل له كيف تبطل القياس وقد أخذ به الشافعي؟، قال أخذت أدلة الشافعي في إبطال الاستحسان فوجدتها تبطل القياس، وعند ابن حزم فالقياس لم يأذن به الله تعالى ولا أنزل به من سلطان، وكل نازلة تنزل إلى يوم القيامة باسمها، فالنصوص قد استوعبت كل ما اختلف فيه الناس. وكذلك أنكر الظاهرية الاستحسان والمصالح المرسلة وسد الذرائع والإجماع وعمل أهل المدينة، وهي أصول أخذت به المذاهب الفقهية المعتمدة.

3-الإجماع: فالمعتمد عندهم إجماع الصحابة وذلك أنهم -حسب داود- قد شهدوا التوقيف من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وأنه لا مؤمن سواهم وأنهم كانوا جميع المؤمنين وأما من جاء بعدهم فهم بعض المؤمنين لا جميعهم.

4-العمل بخبر الآحاد في العقائد والأعمال: إذ يقول الحنفيون والشافعيون وجمهور المالكية وغيرهم أن خبر الآحاد لا يوجب العلم، أما الظاهرية فيقولون أنه يوجب العلم والعمل معا، يقول ابن حزم:" إن دين الإسلام اللازم لكل أحد لا يؤخذ إلا من القرآن أو مما صح من الرسول -صلى الله عليه وسلم- إما برواية علماء الأمة عنه وهو الإجماع، وإما بنقل جماعة عنه وهو نقل كافة وإما برواية الثقات واحدا عن واحد حتى يبلغ رسول الله-صلى الله عليه وسلم-[1]

[1] ابن حزم، المحلى بالآثار، تح:عبد الغفار سليمان البندراني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت، ج1، ص 50.

5-منع التقليد مطلقا على الخاصة والعامة: وعندهم أنه لا يحل لأحد أن يقلد أحدا لا حيّا ولا ميّتا، وعلى كل أحد أن يجتهد حسب طاقته، فباب الاجتهاد حسب رأيهم مفتوح لعامة الناس من كان له ولو معرفة بسيطة باللغة العربية والمسائل الدينية.

III-انتقال المذهب الظاهري إلى بلاد الغرب الإسلامي:

بعد وفاة مؤسس المذهب ابن داود سنة 270هـ، قام بعض العلماء بالمشرق بالمواصلة على نفس النهج ودافعوا عن المذهب الظاهري وهؤلاء هم تلامذة داود الأصفهاني الذين نقلوا علمه إلى عدة أقطار، غير أن هذا المذهب لم يكتب له الانتشار والاستمرار إلا في منطقة واحدة بعد المشرق الإسلامي، وهي بلاد الأندلس، وذلك بسبب اجتهاد الرحالة من طلبة العلم الذين زاروا بغداد وتعرفوا على المذهب الظاهري وعرفوا أصوله وبعد عودتهم إلى بلادهم حرصوا على تعليم مبادئه وبثها بين الناس، ومن أبرز هؤلاء نذكر:

-عبد الله بن قاسم(ت 272 أو 292هـ): وقد صحب داود بن علي وأخذ عنه أصول المذهب، وكان قد أخذ مذهب مالك قبل ذلك، ثم غلب عليه مذهب الظاهر، ودوّن كل

كتبه وهو الذي أدخلها إلى الأندلس. وظهر من بعده علماء آخرون نقلوا المذهب الظاهري وكان من أبرزهم مسعود بن سليمان بن مفلت أبو الخيار(421هـ) والذي تتلمذ عليه ابن حزم وأخذ عنه أصول المذهب الظاهري.

ولعل أبرز من قال بالمذهب الظاهري بالأندلس قاضي القضاة منذر بن سعيد البلوطي(ت355هـ) الذي سمح له المنصب الرفيع الذي تولاه في بلاد الأندلس بالدعوة لمذهبه، وإن كانت هذه الدعوة محدودة بسبب أن السلطة الأموية كانت لا تسمح بغير المذهب المالكي في الأحكام والقضاء، إلا أن منذر بن سعيد قد ساهم في التوطئة لانتشار المذهب الظاهري بالنظر إلى المكانة الرفيعة التي كان يتبوأها آنذاك، وخاصة أنه سافر إلى المشرق وفقه أصول المذهب والتقى بأبرز دعاته في ذلك الوقت.

IV–الإمام ابن حزم المؤسس الثاني للمذهب الظاهري:

– كان جده خلف ابن معدان هو أول من دخل الأندلس على عهد ملك الأندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام المعروف بالداخل.[1]

– ولد كما كتب بخط يده– بقرطبة في الجانب الشرقي من ربض منية المغيرة قبل طلوع الشمس وبعد سلام الإمام من صلاة الصبح، آخر ليلة الأربعاء، آخر يوم من شهر رمضان

[1] عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي: الأدب في المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى آخر عصر ملوك الطوائف، لبنان، 1992، ج4، ط3، ص 535.

المعظم سنة 384هـ الموافق لـ994م، هذا ما كتبه بخط يده إلى احمد الحنبلي صاحب كتاب أخبار الحكماء.[1]

وقد آتى اللهُ ابن حزم من صفات ما يمكنه من فتح نور المعرفة والاستضاءة به، وكل مخايله ومواهبه تجعل منه العالم الذي فاضت بحوثه وتناقلت الأجيال كتبه وكان له لون خاص قائم به في الفكر الإسلامي وقد تميز به ولم يشاركه فيه سواه، فقد جمع صفات كثيرة جعلته يستولي على أبواب العلم استيلاء وأولها حافظة قوية مستوعبة يسّرت له حفظ أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وترتيب مصادرها فأصبح من الحفاظ الكبار، بالإضافة إلى أنه انفرد لوحده بمعرفة فقه الصحابة والتابعين واستخراج الأحكام.

– كان معاصروه والمؤرخون له يعجبون من قوة حافظته وعظم إحاطته وكثرة استيعابه.[2]

– فابن حزم عالم عربي أندلسي الأصل متفنن في مختلف العلوم ذات قيم جمة، فهو فقيه مشهور ومؤرخ وشاعر بارز لم يترك علما إلا ودرسه دراسة قيمة ولعل الأحوال التي سادت في عصر ابن حزم هي العامل الذي جعل لديه فكرا واسعا.[3]

فالتاريخ لم يعرف من قبل عالما جمع بين ضروب العلم المختلفة، إلا أن ابن حزم وصل إلى ذلك فهو الكاتب الأديب، وله خوض في علوم فلسفية والمنطق وكان فيها جريئا كما

---

[1] ابن كثير، البداية والنهاية، لبنان، مكتبة المعارف، 1991، ج11، ص91.

[2] شهاب الدين، لسان الميزان، لبنان، دار الكتب العلمية، 1996، ط1، ص 239-240.

[3] عبد الحميد يونس: موجز دائرة المعارف، القاهرة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995، ص 159.

كان في غيرها، فهو يخطئ أرسطو في منطقه وينهج في المنطق منهاجا يخالفه، ويتقصى التاريخ ويدونه متحريا الحقيقة وهو بذلك المؤرخ العميق النظرة ويكتب في أدق أجزاء التاريخ وهو الأنساب، ويخرج من كل ذلك العالم المحقق المستوعب.

– وهو مع كل هذا المحدث العظيم الذي يجمع أنساب الحديث، فيحفظها و إذ كان قد أخذ الناس عليه أنه قد أدخل عليه أحاديث فان ذلك لا يمنع عظم حفظه وإحاطته ومعرفته لأخبار الرجال وأحوالهم وهو الفقيه الذي أحيا علم الظاهر أو بعبارة أدق دلالة " أحبا علم الكتاب والسنة بين عمومها وشمولها لأحكام الأحاديث التي تجرى بين الناس مهما يتغير الزمن".[1]

– وهو فوق ذلك العالم بالملل والنحل في غير الإسلام والعالم بالفرق الإسلامية وأهل النجاة منها والعالم بوجوه الرد على غير المسلمين. والعالم بالفرق بين الفرق معرفة دقيقة، وأنه يناقشها غير سائر وراء أحد، ولا ملتفت لقول قاله عالم مهما تكن منزلته ما دام يخالف ظاهر الكتاب والسنة أو يأتي بقول لا يشتق منها ولا يعتمد فيه على صريحهما.[2]

كما عرف ابن حزم بتدينه وصلاحه ولقد أحسن من قال فيه عندما أراد أن يجمع أخلاقه في كلمة واحدة فقال:" ...كان عاملا بعلمه" لقد كان متواضعا لله شاكرا لنعمه يقول في أدب العالم:" وإن أعجبت بعلمك فاعلم انه لا خصلة لك فيه وأنه هو موهبة من الله

[1] محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 59.

[2] شهاب الدين، المصدر السابق، ص 140-141.

مجردة وهبك إياها ربك تعالى فلا تقابلها بما يسخطه فلعله ينسيك ذلك بعلة يمنحك بها تولد عليك النسيان ما علمت وحفظت.

– وأبرز صفاته الوفاء الذي جعله يعيش وفيا لدينه وإخوته وشيوخه ولكل من اتصل به بل وفيا للجهاد.[1]

– هذه المزايا الفكرية امتاز بها ذلك الإمام العظيم وأنه بجوار هذه المزايا الفكرية كانت عنده صفة أخرى لازمة للعلماء وهي الصبر والجد والمثابرة، لقد جد ابن حزم في طلب العلم وتحصيله وانصرف إليه بكليته ولم يجعل من نفسه فراغا لغيره.

– ومنه فقد تمتع ابن حزم بشخصية مميزة، بالرغم من أنها كانت تحمل كثير من الصفات التي عدها أعداؤه سيئات استغلوها في طعنه، خاصة وأن ابن حزم عاش حياة مضطربة بسبب مبادئه التي نادى بها ومذهبه الذي دافع عنه بإخلاص، حتى إن السخاوي يرجع سبب حدة ابن حزم في مؤلفاته إلى ذلك الابتلاء الذي مر به في حياته. وقد لمح ابن حزم نفسه إلى ذلك فهو يعترف بنفسه أن في نفسه" كلفا في الرضاء وإفراطا في الغضب" يمكن تعليله بالمجافاة التي تعرض لها من قومه، بتأليب الناس عليه وحرق كتبه.[2]

[1] محمود علي حماية، ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، جامعة الأزهر بأسيوط، دار المعارف، ط1، 1983، ص 63.

[2] مجيد خلف منشد، ابن حزم الأندلسي ومنهجه في دراسة العقائد والفرق الإسلامية، لبنان، دار ابن حزم، 2002، ط1، ص 85-86.

– يقول الحميدي" ما رأيت مثله رحمه الله فيما أجمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين". وتبدوا الصفة الأخيرة واضحة في نقش خاتمه الذي كتب عليه:

يا علي ابن أحمد اتق الله ترشد.

بالإضافة إلى كل ما تقدمنا به من صفات فقد تمتع بتفان عظيم في عرض الحق والدفاع عنه وتقواه في الحياة وورعه فيها.[1]

عُرف عن ابن حزم أنه كان شافعيا في بداية أمره لكنه آثر المذهب الظاهري وربما تأثر في ذلك بالعلماء الذين سبقوه وأوصلوا قول الظاهرية إلى الأندلس، وقد كان بسبب تضلعه في كثير من العلوم مدافعا عن المذهب وذلك عن طريق المناظرات الكثيرة التي كان لا يهزم فيها، والتآليف الجمة التي خلّفها، والتلاميذ الكثر الذين تعلموا على يديه ونشروا المذهب من بعده. وقد لاقى ابن حزم شدة وامتحانا من طرف حاكم إشبيلية فأُحرقت كتبه وأُبعد عن بلده بعد اتهامه بتجريح العلماء والفقهاء من المالكية خاصة.

وتوفي سنة 456هـ/1063م بعد حياة حافلة بالعلم والتعلم والتدريس والتأليف لم يجاره فيه إلا قلة من العلماء الذين جاءوا من بعده، وقد قيل أن مؤلفاته فاقت أربعمائة مجلد أغلبها في المذهب الظاهري[2].

[1] الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء الصحابة رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوو النباهة والشعر، القاهرة، 1966، ج2، ص230.

[2] المراكشي، عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروتن لبنان، ط2، 2005م، ص 35.

V-انتشار المذهب الظاهري ببلاد الغرب الإسلامي:

ساهم في انتقال المذهب الظاهري إلى بلاد الغرب الإسلامي عاملان مهمان هما دور بغداد كحاضرة علمية فيها نشأ المذهب ومنها انتشر إلى باقي البلاد الإسلامية بسبب تمركز علماء بها، وأنها كانت مدينة جاذبة لطلبة العلم من أرجاء العالم الإسلامي، والعامل الثاني هو رحلات المغاربة إلى بلاد المشرق وأخذهم لأصول المذهب على يد

كبار علمائه ثم عودتهم إلى بلادهم لنشره وتعليمه لأهل البلاد، وقد أوصله ذلك في بعض الفترات إلى منافسة المذهب المالكي والتفوق عليه في بعض العصور.

أما عوامل انتشاره فقد كان وراءها عاملان بارزان أولهما مناظرات ابن حزم وشدته في الترويج لهذا المذهب خاصة أنه كان ذا لسان لاذع لا يسلم منه إلا القليل حتى قيل فيه "إن لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان "[1]، فقد كان يتقن المناظرة والجدل وسار في البلاد الأندلسية ينشر آراءه ويدافع عن مذهبه ويناظر من خالفه، ونجح في ذلك نجاحا باهرا حتى عجز فقهاء المالكية عن مجاراته، وجرّه ذلك إلى صدامات ومواجهات كثيرة كانت السبب في محنته، لكنها في مقابل ذلك عملت على تزايد عدد المنتسبين للمذهب الذين حافظوا على استمراريته وتواجده في المنطقة.

ثاني هذه العوامل هو خدمة الدولة الموحدية للمذهب بسبب تبنيها له حتى أصبح هو المذهب الرسمي للدولة، وذلك في عهد يعقوب المنصور(580-595هـ/1184-1199م) ثالث خلفاء الموحدين وهو الذي أبطل العمل بالمذهب المالكي، وعمل على إحراق كتبه وتآليفه، وعاقب الناس على الاشتغال به، وبذا أصبح المذهب الظاهري هو المذهب الأول في الدولة، وكثرت أعداد المنتسبين إليه تأثرا أو خوفا من السلطان، ويمكن القول حسب الوارد في المصادر أن ظاهرية الدولة الموحدية لم تكن وليدة عصر يعقوب المنصور، وإنما كانت فكرة ومذهب سابقيه بدءا بابن تومرت المؤسس الأول للدولة، وفي هذا يقول صاحب المعجب:" وكان قصده -أي يعقوب المنصور- محو

[1] الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تح حسين الأسد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط11، 1996م/1417هـ، ج18، ص 199.

مـذهب مالـك وإزالتـه مـن المغـرب مـرة واحـدة وحمـل النـاس علـى الظـاهر مـن القـرآن والحديث، وهذا المقصد بعينه كان مقصد أبيه وجدّه، إلا أنهما لم يظهراه وأظهره يعقوب هذا.."[1]

وقد أمر يعقوب المنصور في سني حكمه بجمع الأحاديث من كتب الصحاح مثل صحيحي البخاري ومسلم، والموطأ، وصحيح الترمذي وسنن أبي داود والنسائي والبزار وغيرهم وتعليم الناس إياها وكافأ من عمل بذلك.

كما حرص على أن يعمل الناس بأصول المذهب الظاهري ويبتعدوا عن الاشتغال بالرأي، وبذلك أوصى من بعده، والالتزام والعمل بمذهب أهل الظاهر، وتعيين فقهاء الظاهرية وعلمائها في المناصب العليا مثل منصب قاضي القضاة وحكم هؤلاء بالمذهب وأفتوا به، ومن أمثال هؤلاء قاضي الجماعة عبد الله بن طاهر الصقلي الحسيني(ت 609هـ) الذي كانت له عند المنصور منزلة عظيمة واستمر في منصبه إلى أن توفي[2]، وكان لا يحكم إلا بالمذهب الظاهري امتثالا لأمر السلطان، وأمر قضاته على المدن والأمصار ألا يفتوا بغير المذهب الظاهري، وأن يسقطوا ما سواه من الأحكام.

وفي هذا العهد كثرت تآليف المذهب وتعددت، وأقبل الناس على تعلم المذهب وأصوله والنظر في كتب علمائه، وأفردت الحلقات في المساجد لهذا الشأن وعظم شأن

[1] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 198.

[2] ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور لطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص 48.

المنتسبين له، وذلك بسبب تقريب السلطان لهم واعتماده عليهم في كسب المزيد من الأتباع.

وبذلك فقد ساعدت الدولة الموحدية في إعادة إحياء وبعث المذهب الظاهري من جديد بعد أن كان الناس قد نسوه وتوقف العمل والتعلم منه خاصة بعد وفاة المؤسس الثاني له الإمام ابن حزم منذ أزيد من قرن من الزمان.

لكن محاولة فرض هذا المذهب بالقوة والتخويف ساهم من جهة ثانية في تأليب الناس على الدولة وأحكامها فقامت ثورة عديدة تزعم أغلبها فقهاء مالكيون رفضوا سياسة الموحدين في فرض المذهب الظاهري بالقوة وتهميش فقهاء المالكية وامتحانهم والتنكيل بهم وحرق كتبهم، ورفض هؤلاء الانضمام إلى هذا التوجه المذهبي والفكري الجديد المناهض للمذهب المالكي السائد، ومن أبرز هؤلاء نذكر القاضي عياض (ت544هـ) الذي رأى في هذا التوجه فسادا للعقيدة وخروجا عن العدل والحق، فحضّ الناس في سبتة على الخروج عن طاعة الموحدين ونقض بيعتهم، فلما انتفض المغرب على عبد المؤمن، انتفض أهل سبتة أيضا، وكان انتفاضهم برأي القاضي عياض رحمه الله، فقتلوا عامل الموحدين ومن كان معه من أصحابه وحاميته وحرقوهم بالنار[1]، وبعثوا إلى ابن غانية ليبعث عليهم واليا من قبله. وكذا ثورة الفقيه الغرناطي أبو القاسم بن فارس سنة 601هـ، والفقيه علي بن محمد بن رزين الجزيري سنة 586هـ، وثورة أبي محمد عبد الحق بن عبد

[1] الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م، ج2، ص 102.

الرحمن الأزدي الإشبيلي والتي قامت ضد الحكم الموحدي ببجاية سنة 580هـ، بعد أن رفض زعيمها تولي القضاء لدولة الموحدين.

يضاف إلى ذلك أن المذهب المالكي ظل متماسكا رغم سطوة المذهب الظاهري، وبقي يقاوم ويحفظ الناس أحكامه ومتونه، وبقيت المدونة في صدور الناس رغم مصادرتها من أيديهم، ولا أدل على ذلك من أنه بمجرد سقوط الحكم الموحدي عاد الناس لمذهبهم الأول، وانفض أتباع المذهب الظاهري وعاد الناس لدراسة المذهب المالكي وأُحييت أحكامه كأنما بعثت من جديد.

فهرس الموضوعات

محاور المقياس: **3**

المصادر: **3**

المحور الأول: البعثة العمرية ودورها في نشر الإسلام بعد الفتح **7**

أولا: تعاريف 7

ثانيا:بدء الحركة الفكرية في بلاد المغرب الإسلامي 7

ثالثا:آثار البعثة العمرية على بلاد المغرب الإسلامي 12

المحور الثاني:انتشار المذهبين الصفري والاباضي ببلاد المغرب (الدعوة، الثورة، الدولة) **14**

1-الخوارج نشأتهم وأصول حركتهم: 14

2-ظهور الصفرية والإباضية في بلاد المغرب: 16

2-1-الإباضية: 16

-وصول المذهب الإباضي إلى بلاد المغرب: 18

2-2-الصفرية: 21

2-3-أسباب نجاح الخوارج في بلاد المغرب: 26

2-4-نتائج حركة الخوارج في بلاد المغرب: 26

المحور الثالث:المعتزلة ببلاد الغرب الإسلامي 27

1-المعتزلة نشأتهم وأصول مذهبهم: 27

2-المعتزلة في بلاد الغرب الإسلامي:..... 29

المحور الرابع: المذهب الإسماعيلي من الدعوة إلى الدولة. 33

1-تعريف الشيعة:..... 33

2-فرق الشيعة: 35

3-أهم عقائد الإسماعيلية: 37

4-المذهب الإسماعيلي في بلاد المغرب: 40

5-الإسماعيلية من الدعوة إلى الدولة :..... 42

المحور الخامس: المحور المذهب المالكي في بلاد الغرب الإسلامي: تاريخه، نشأته ومراحله 45

أولا:مراحل تطور المذهب:..... 45

1. مرحلة النشأة والتأسيس..... 45

2. مرحلة التفريع: 45

3. مرحلة التطبيق 46

4. مرحلة التنقيح..... 46

5. مرحلة الجمع والاختصار 47

ثانيا:أسباب وعوامل انتشار المذهب في بلاد الغرب الإسلامي 50

ثالثا: أصول المذهب، وقواعده، ومصطلحاته..... 54

المحور السادس: المذهب الظاهري..... 58

I-تعريف المذهب الظاهري..... 58

II-خصائص المذهب الظاهري 60

III-انتقال المذهب الظاهري إلى بلاد الغرب الإسلامي..... 62

IV-الإمام ابن حزم المؤسس الثاني للمذهب الظاهري 63

V-انتشار المذهب الظاهري ببلاد الغرب الإسلامي..... 68